

أَشْعَارُ الْمُرْفِقِ الْكَبِيرِ

إِبْرَاهِيمُ عَبْدُ الْعَزِيزِ

الناشر

دار نجاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبد الله شريف

الكتاب : أشعار توفيق الحكيم

المؤلف : إبراهيم عبدالعزيز

تاریخ النشر : ١٩٩٨ م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

مهدى غريب.

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

٢٤٠١٧٤٣ ، ٢٤٧٤٠٣٨ ت ،

فلاتس : ٢٤٠١٧٤٤

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص.ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت : ٠١٥٣٦٢٧٧٢٧ ص.ب : ١٢٢ (الفجالة)

رقم الإيداع : ٩٨/١٢٣٥٣

الترقيم الدولى : ISBN

977-303-098-2

المحتويات

	الموضوع	
الصفحة		
٧	الإهداء	
٩	الحكيم وقضية الشعر	
١٨	توفيق الحكيم يفتح ملف الشعراء	
٢٥	الشعراء يهاجمون توفيق الحكيم	
٤٦	ظلموني الشعراء	
٥٠	مصالحة	
٥٦	رسالة الشعر عند توفيق الحكيم	
٦١	المفاجأة	
٦٥	قصائد عربية لتوفيق الحكيم	
٦٦	إخلاص	
٦٩	كرم	
٧٠	رحلة بين الكواكب	
٧١	رحمة	
٧٢	ألوان	
٧٣	الإنسان الأول : يقتل	
٧٤	القمر الآخر	
٧٥	ذرة	
٧٦	موت	
٧٨	عدالة	
٨١	صلة الفنان	

٨٢	تجدد الكون
٨٣	نشوة
٨٤	شكوى
٨٥	البدر
٨٦	الحب
٨٧	لست وحدي في الكون
٨٨	مسافر في الفضاء
٨٩	هواجس ليلة بيضاء
٩٠	حلمنا وواقعنا
٩١	كلام النجوم
٩٢	كلامنا نحن
٩٣	قبة سمائنا
٩٤	محاولة قبلة
٩٥	أعماق نفسى
٩٦	نسيج الخليقة
٩٧	مزاجنا
٩٨	اللامتناهى في المتناهى
٩٩	أيتها الحياة التي فينا
١٠٠	دخان أفكار
١٠١	أين المصير
١٠٢	مجنون الأميرة الفرعونية (شعر منشور قديم ل توفيق الحكيم ١٩٢٦)
١٤٨ - ١٠٦	النص الفرنسي لقصائد عربية ل توفيق الحكيم

إلهاماً . . .

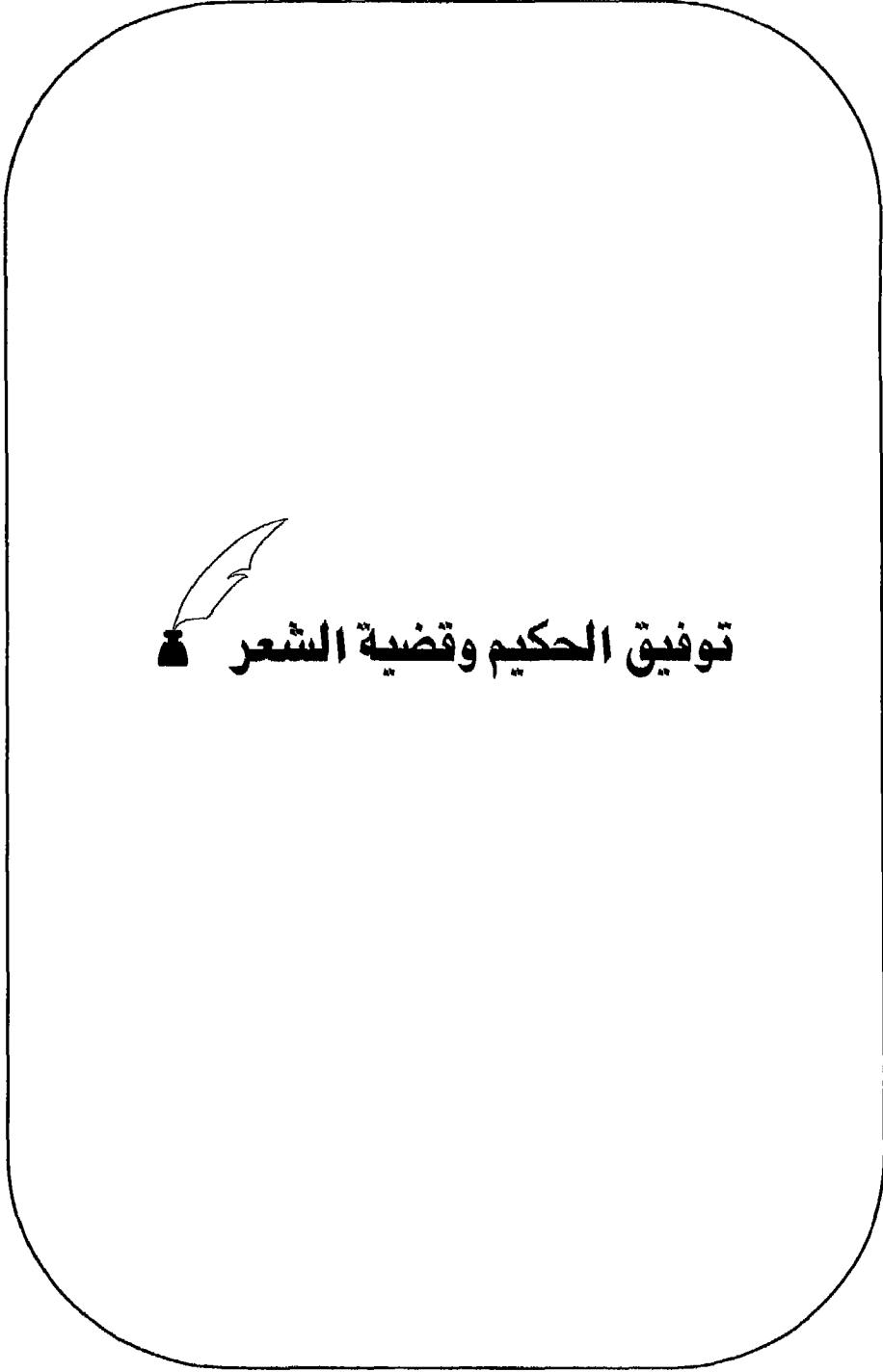
إلى والدى

عبدالعزيز

في مختنه

التي كشفت

نريف الأقنعة !



توفيق الحكيم وقضية الشعر

ما هى علاقة توفيق الحكيم بالشعراء؛ ليتحدث فيه حديث العارف الناقد الذى يوصل له وينسى له مذهبًا فى نظريته "التعادلية"، ويكتب مقدمات لدواوين شعرية^(١) ويخوض آخر معاركه من أجل إيجاد شخصية عربية للشعر العربى الحديث، لها جذور وأصول عربية لا أجنبية؟

إن الحكيم يرى أن ناقد الأدب يجب أن يمارسه وناقد الشعر يجب أن يقرضه، وهو فى ذلك مثل "سومرست موم" الروائى الإنجليزى الذى كتب يحذر من خطأ الاعتماد على نقاد من غير الأدباء المبدعين؛ لأن الناقد الذى لا يعمل بنفسه فى حقل الأدب الخلاق يتحمل أن تكون خبرته فى صنعة الرواية بسيطة؛ لذلك فهو يعتمد فى نقه على انطباعاته الشخصية التى قد لا تكون ذات قيمة تذكر، أو يصدر أحكاماً مبنية على أسس جامدة، وعلى الروائى أن يتقيى بها إذا ما أراد أن يحوز قبول الناقد.

وهكذا كان رأى توفيق الحكيم أيضاً مما نلمسه فى حديثه فى "زهرة العمر" عن العرب والأجانب "الذين قضوا حياتهم ينقدون فنوناً لم يمارسوها قط بأنفسهم، حتى العرب ونقاد الشعر العربى فى أدابنا مثل "الأصمى" و"حمداد عجرد" لم يمارسوا هذا الفن مع روایتهم لكل ماقيل فيه، وإنى لأنكر قول أحد نقاد العرب هؤلاء، وقد سأله (...): لماذا لا يقرض الشعر؟

فأجاب: أنا كالمسن يشحد ولا يقطع!

إذن فهل مارس توفيق الحكيم الشعر كى ينقد الشعر؟
ينبغى للإجابة على هذا السؤال أن نتعرف على بداية علاقة الحكيم بالشعر؟

* * *

(١) ديوان "أوراق من حديقة أكتوبر" لفاروق جودة، وديوان "حب أو لا حب" لعبدالعزيز شرف.

كان اتجاه الحكيم منذ بوакير حياته الثقافية الأولى يتوجه نحو قراءة القصص والروايات خاصة المترجم منها، ولكن هذا الاتجاه لم يلق قبولاً من والده الذي كان يريد أن يتوجه إلى الشعر ويجعله جزءاً من ثقافته على غير رغبة ابنه واهتماماته، مما جعله يكره الشعر ويبعد عنه بعد أن صار بينه وبين الشعر دم مسفوك !

يروى توفيق الحكيم هذه الحكاية من ذكريات "سجن العمر" :

أذكر ذات يوم - قبل التحاقى بالتعليم الأميرى المنتظم - كان يوم جمعه .. وقد ارتدى والدى جلباه المنزلى وتناول إفطاره وقرأ جرينته، ولم يجد بعده ما يفعل بوقته فناداني قائلاً :

"تعال أتحنك!..." وناولنى كتاب "المعلقات السبع" .. ذلك الكتاب الذى كان يجبه هو ويترنم بأبياته .. وأخرج لى معلقة زهير بن أبي سلمى .. وطلب إلى أن أقرأها بصوت مرتفع. فلما وصلت إلى ذلك البيت :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة .. يغرس بأتياها ويوطأ بمنسم
سألنى عن معنى "يصانع" .. فلم أوفق إلى إجابة صحيحة.. وأين لمن
كان فى مثل سنى وفتنت أن يعرف حقيقة "المصانعة" فى الحياة، وهو يجعل
الحياة نفسها، وعلاقة الناس بعضهم ببعض، فى ذلك المجتمع المعقد
المتشابك، فلما لم أجب بما يقتضيه رفع كفه وضربني على وجهى ضربة
أسالت الدم من أنفى .. وجاءت على الصوت جدتى التى كانت تحبني،
فصاحت به، وأخذتى من يدي إلى حجرتها .. وأنا أعن المعلقات
وأصحابها .. بل أعن الشعر كله. وكان من الطبيعي والمنطقى أن أحبه كما
أحبه أبي، ولكن الدم الذى سال من أنفى بسببه، بغضه إلى نفسى مدة
طويلة .. وكيف كان يمكن أن أحبه وقتئذ وبينى وبينه دم مسفوك! كرهت
الشعر فى تلك المرحلة".

وقد ساهمت مراحل التعليم التي مر بها توفيق الحكيم في المدارس الابتدائية والثانوية في ابتعاده عن الشعر بل عن اللغة العربية نفسها :

يتساءل ويجيب في "زهرة العمر" : "لماذا؟ السبب بسيط : هو أن النماذج التي وضعت في أيدينا - ونحن صغار - للبلاغة في اللغة العربية كانت كتاباً غثة المعنى متكلفة المبنى" أسلوب غايته قبل كل شيء أن يبهر السمع النائم ويطرد الأذن المسترخية" ويتساءل "أيجوز أن تجعل لغة من اللغات وسيلة لهو وأداة براعة كفون المغنيين، وألعاب الحواة، أم أن اللغة أداة يسيرة لنقل الأفكار النبيلة؟"

ويرى الحكيم أن جلال اللغة اللغة العربية في بساطتها وسيرها قدما نحو الغرض، نجدها في كتابات الفلاسفة والمؤرخين العرب، كابن خلدون، والطبرى، وأبن رشد، والغزالى، ويتساءل الحكيم متدهشاً كيف أن هؤلاء "لم يعرضوا علينا قط في دراساتنا للأدب العربي بالمدارس" ولعل سؤاله هذا في "زهرة العمر"، يظل قائماً ومجيباً عن مشكلة اللغة العربية التي لازم نشكو منها حتى اليوم - ونحن نودع القرن العشرين - ويزيد الحكيم الأمر وضوحاً حين يقول إن "كل كاتب عربي بسيط الأسلوب نافع لنا في الحياة يقصونه إقصاءً بحجة أنه غير بلينغ! ويأتون إلينا بالكاتب الذي لا ينفع في حياتنا إلا نموذجاً لإثارة السخرية".

ويصل الحكيم إلى مفتاح اللغة العربية ومفترتها وهو الشعر "الشعر الذي كان يجب أن ترى فيه نفوسنا المفتوحة أول لون من ألوان الفن.. ماذا انتخبوا لنا منه؟ قصائد المواعظ والحكم!"

هناك حقاً أنواع من الموعظة والحكمة يعرف الشاعر الحق كيف يلبسها ثوباً من الصور الحسية والذهنية، ترفعها إلى مرتبة الفن العالى.. كما فعل "أبوالعلاء" و"المتنبى" و"النابغة الذهبيانى" في بعض قصائدهم، ولكن الفرز والتمييز والتخير في هذا الباب يحتاج إلى حاسة فنية لا يملكها القائمون

بهذا العمل.. حتى الشعر الموسيقى والشعر التصويري الذى عرضوا علينا بعض نماذجه - فى أعمال "البحترى" و"ابن الرومى" على الأخص - لم يكن من خير أثارهما^(١).

* * *

تلك كانت ذكريات الحكيم الأليمة مع الشعر فى مراحل الدراسة، ولكن المدهش كما يقول الحكيم نفسه فى "سجن العمر" أنه عندما قامت ثورة ١٩١٩ لم يتجه مثل بعض زملائه ومعارفه إلى الخطابة أو كتابة المنشورات بل "كان اتجاهى إلى تأليف الأناشيد الوطنية الحماسية وأحياناً كنت أحنها بنفسي مسترشداً في التلحين بأنغام تلك الموسيقى الجنائزية التي كانت تعزفها فرقة "حسب الله" "الأصلى" أمام نوش ضحايا المظاهرات".." وقد انتشرت بالفعل بعض تلك الأناشيد إلى حد أدهشنى". لقد ترددت الأناشيد التي ألقها الحكيم، في أحياط بعيدة، ومدن بعيدة كالإسكندرية، يرددتها الشباب دون أن يعرفوا مصدرها.

ويذهب الحكيم إلى أنه "يخيل إلى" أنه نظمت أيضاً بضع قصائد من الشعر في الحركة الوطنية ولكنها ضاعت ونسى كأناشيد الثورة التي وضعها الحكيم.

ولكن لماذا كان التحول من كراهية الشعر إلى التعبير به والمشاركة من خلله في ثورة ١٩ التي كان الحكيم أحد أبنائها؟

لا إجابة على هذا السؤال سوى أن الشعر هو الوسيلة الأسهل والأسرع من أي وسيلة أخرى للتعبير والانتشار.

أما كيف يعبر عبر بوسيلة يكرهها، فالجواب أن الكراهية للشعر عند الحكيم في مراحل حياته الدراسية صنعتها الظروف والملابسات التي أشرنا

(١) زهرة العمر.

إليها سابقاً، ولكن الشعر لم يكن مكروهاً في ذاته عند الحكيم، وإنما هي كراهية فرضتها عليه ظروف خارجية وإن بقي حب الشعر بداخله وجزءاً من تكوينه النفسي والثقافي بدليل أنه وجد نفسه مدفوعاً بوسيلة الشعر دون أي وسيلة أخرى للمشاركة في ثورة الشعب الذي هو أحد أبنائه.

ولكن لماذا لم يستمر الحكيم في استخدام الشعر كوسيلة فنية وأدبية للتعبير عن إبداعاته، لقد استخدم الفن التمثيلي والروائي وترك الشعر جانباً.. فهل كان في مرحلة الاختيار والمفاضلة؟

لندع الحكيم بنفسه يفسر لنا في "سجن العمر"، سر اتجاهه إلى طريق غير طريق الشعر.

"إنى لأتسائل أحياناً لماذا لم أتجه إلى الشعر للتعبير عن عواطف الشباب كما فعل والدى في شبابه.. كيف أستطيع ذلك أنا أيضاً على نحو ما.. لم تكن القدرة على النظم تعوزنى... ولا العجز عن الأداة اللغوية .. فقد كنا فى أهم مرحلة حفظنا للكثير من النماذج الشعرية وكان غير قليل من زملائى ينظم الشعر بسهولة... لا أقصد عن موهبة.. بل لمجرد المحاولة"

ويجيب الحكيم "ليس عندي سوى تعليل واحد، هو أن الشباب يلجأ إلى الشعر تلبية لنداء الفن في أعماقه.. فبعض النفوس التي يستيقظ فيها شيطان الفن تحاول أن تجد له مخرجاً وثياباً، والشعر أقرب تلك الأثواب تناولاً للشباب.. فالنموذج أمامه فيما حفظ من شعر الشعراء وما عليه إلا أن يسير على الدرب.. هذا إذا لم يكن هناك ثوب آخر كالموسيقى أو الرسم أو التمثيل حل فيه الشيطان من قبل... وتلك كانت حالي.. فشيطان الفن عندى كان قد ارتدى ثوب التمثيلية قبل أن يلتفت إلى ثوب القصيدة الشعرية، ولما حل فيها كمن واستقر ولم يعد يفكر في الخروج إلى غيرها من أثواب وأشكال"

هذا فضلاً عن أن الحكيم كان في اتجاهه للتمثيلية الأدبية والرواية والقصة مؤسساً لقوالب أدبية جديدة في الأدب العربي.

ولكن شيطان الشعر ظل يطارد الحكيم محاولاً أن يجد له مكاناً بين فروع إيداعاته المتعددة.

* * *

في الوقت الذي حدد فيه توفيق الحكيم طريقه الفنى نحو "التمثيلية الأدبية" كان الشعر أو ما يشبه الشعر ينزع عنه ويحاول السيطرة عليه متاثراً في ذلك بالطبع الأول وهو النبع القرآنى الفريد، ثم بالفن الحديث.

فأما النبع الأول فإن الحكيم يتذكر "من حيث الشكل، كيف كان القرآن يثير فينا التأمل بأسلوبه الفريد. لا هو بالشعر المنظوم. ولا هو بالنشر المرسل. لكنه طاقة شعرية وموسيقية معجزة"^(١) .. "هذا الإعجاب ترك في نفوسنا أشياء.. وربما، بدون أن نشعر، كانت تعيش دائماً في أعماقنا ذكريات هذا الشكل الفريد"^(٢).

أما المؤثر الثاني الذي جعل توفيق الحكيم تنازعه نفسه نحو الشعر أو ما يشبه الشعر، فهو الفن الحديث بداية بالفن التشكيلي. يقول الحكيم "كنت يومئذ تحت تأثير مدارس التصوير التائرة"^(٣).

ويزيد الحكيم الأمر ليضاحا حين "اتجه هذا الفن الحديث إلى تعميق هذا الشئ الخفى، فأصبح التصوير مجرد بقع لونيه، والنحت بقع كثليه، والموسيقى بقع صوتيه، والشعر بقع لفظية. (كلمة البقع هنا تعبر خاص عن انطباعي الشخصى) ونتج عن ذلك نوع من الفن ينصل مباشره بالعين أو بالأذن دون أن يمر بالعقل"^(٤).

(١) رحلة الربيع والخريف.. توفيق الحكيم.

(٢) نفسه.

(٣) السابق.

(٤) مقدمة "ياطالع الشجرة" لـ توفيق الحكيم نقلها عن "رحلة الربيع والخريف" للحكيم نفسه.

وهنا يضع الحكيم أيدينا على بداية محاولاته التي يسميها في مقدمة الطبعة الأولى من "رحلة الربيع والخريف" - قصائد شعرية نثرية - ثم يقف حائراً في مقدمة الطبعة الثانية لنفس الكتاب متسللاً "ست أدرى إلى أي مذهب شعري بالضبط يمكن أن ينتمي هذا النوع".

يقول الحكيم متذمراً بالفن الجديد الذي تحدث عنه "لقد أغترني هذا الفن الجديد في السنوات العشرين من هذا القرن - وأنا في باريس - بالشروع في المحاولة.. فكتبت بعض قصائد شعرية نثرية من هذا النوع، وهو لا يقتيد أيضاً بنظم ولا بقالب معروف. أهميتها فيما بعد بالطبع.. لأن اتجاهي الأصلي كان إلى المسرح"^(١).

ولكن الحكيم الذي مزق أكثر ما كتب في هذا المجال احتفظ لنا ببعضه ليسجله في كتابه "رحلة الربيع والخريف" فيقول في "مقدمته من تلك الأعمال التي مزقت أكثرها لم أعد أثغر إلا على هذا القدر من مقطوعات. بعضها مكتوب في الأصل على النسق النثري المتصل الجمل والفترات"

وما أثبته توفيق الحكيم في "رحلة الربيع والخريف" مما يتدرج بين تسميته "قصائد شعرية نثرية" أو تساؤله الذي يطرح تسمية أخرى "إلى أي مذهب شعري بالضبط يمكن أن ينتمي هذا النوع" يحدد الحكيم تاريخها فيما بين ١٩٢٦ - ١٩٢٧، فهل لو كان الحكيم قد نشر مقطوعاته المشار إليها، في حينها بصرف النظر عن مستوىها الذي ينظر إليها به اليوم، كان قد سبق مؤسسي الشعر الحر في العالم العربي باعتباره واضعاً النموذج الأول كما وضع نموذج التمثيلية الأدبية ، والرواية، والقصة ، الذي خرج من عباءته مبدعاً المسرحية والرواية والقصة بعد ذلك؟

إن السؤال قد يبدو مطروحاً بأثر رجعي، ولكنه يظل مطروحاً لدراسة ما كتب الحكيم في مجال "الشعر، أو الشعر المنثور، سمه ما شئت، وأقول كما

(١) السابق.

قال الحكيم نفسه "فأنا هنا بالطبع لن أستطيع تحديد موضع هذه المقطوعات من الشعر عامة ومن شعرنا الحديث خاصة" ^(١).

ويبدو إلحاد السؤال عن تقييم الحكيم شاعرًا بقدر إلحاد الحكيم نفسه على أنه كتب الشعر أو ما يشبه الشعر بشهادة النقاد الأجانب أنفسهم حتى فيما لا يقع تحت تصنيف الشعر كمسرحية "شهر زاد" (١٩٣٤) للحكيم حيث كان هناك "من وصفها بأنها وشى فنى عربى كما ذكر جورج ليكونت عضو الأكademie الفرنسية فى مقدمته لها" ^(٢).

ولكن توفيق الحكيم الذى يقدم نفسه فى "رحلة الربيع والخريف" كشاعر أو شبه شاعر كان حريصا على تحديد المقطوعات التى كتبها بتاريخ كتابتها فى العشرينات (١٩٢٦ - ١٩٢٧) ثم خوضه آخر معاركه الأدبية فى حياته مع الشعر والشعراء، هو نفسه توفيق الحكيم الذى يفاجئنا بديوان شعري كامل يكتبه باللغة الفرنسية ويسميه "قصائد عربية" صراحة فى غير تردد أو مواربه كما فعل فى "رحلة الربيع والخريف" مضمونا إياه "أى هذا الديوان" كثيرا من المقطوعات التى نشرها فى "رحلة الربيع والخريف" مما يؤكّد قناعة الحكيم نفسه أنه كان رائدا للشعر العربى الحديث وإن لم يجرؤ على أن يقول ذلك؛ لأنّه نشر مقطوعاته التى تردد فى تسميتها، فى وقت متاخر على ظهور الشعر الحديث فحاول أن يوصله فى معركته مع الشعراء وهى آخر معاركه الأدبية قبل رحيله بوقت قليل، والتى أدار صاحب هذه السطور رحاه على صفحات مجلة "الإذاعة والتليفزيون" التى عمل بها ولايزال، حيث بدأت المعركة بعنوان

"الحكيم يفتح ملف الشعراء"

متسائلاً :

(١) السابق.

(٢) السابق.

الشعر العربي الجديد صدى أوربي فمته تكون له شخصيته الأصلية؟".

والحقيقة والتاريخ فقد كان توفيق الحكيم نفسه هو صاحب المعركة ومجراها حينما وجذته ذات يوم في إحدى لقاءاتي المتكررة معه خلال الخمس سنوات الأخيرة من صحبته الجميلة، ليmana منه بتواصل الأجيال، وقد قدم إلى ثلاثة صفحات مكتوبة بخط يده بالقلم الرصاص الذي اعتاد أن يكتب به، وقد جعل لسطوره عنوان "توفيق الحكيم قضية الشعر" لأبدأ بها معه معركة استمرت لمدة ستة أسابيع اشتباك فيها الحكيم مع الشعراء التقليديين والمحدثين، والنقاد، بما يؤكد أن توفيق الحكيم قد جعل من الشعر في حياته "قضية" كما أسمتها بنفسي، مما يؤكد على مكانة الشعر ومنزلته لديه.

ومن المهم أن نسجل هذه المعركة الشعرية ونستعيدها لتبقى دليلاً على أهمية الشعر في حياة توفيق الحكيم الأدبية، حتى لا تبقى مجهولة بين صفحات مجلة "الإذاعة والتلفزيون"، ولتضيف إلى تاريخنا لحياة توفيق كشاعر له ديوان مطبوع مجھول وهي المفاجأة التي نقدم لها بعد إثبات معركة الرائد الكبير كما جرت في حينها.

* * *

توفيق الحكيم يفتح ملف الشعراء

كتب الحكيم يقول تحت عنوان "توفيق الحكيم قضية الشعر" (١) روى أن الشاعر "كيتس" نهض ذات ليلة، في أحدى الولايات، رافعاً كأسه بهذا النخب الغريب : اللعنة على ذكرى (نيوتن)... فلما سأله الحاضرون عما قصد؟ قال : لأن نيوتن أفسد نظريتنا الشعرية إلى قوس قزح، حين فسره لنا التفسير المادي.. فشرب الحاضرون عندئذ - وكانوا من الشعراء - على لعنة نيوتن.. على أن الأيام أثبتت لنا بعدئذ أن العلم لم يستطع هدم "الشعر" ، كما أنه لم يستطع هدم "الدين" ..

(١) مجلة الإذاعة والتلفزيون ١٤ ديسمبر ١٩٨٥ - العدد ٢٦٤٨.

نوفيقه الحكيم وقصيدة الشعر

قصيدة شعر لمربي. من تأليف الحكيم. قوله : « جاءه لم يكُن قد كتب قيداً كثيراً . نزه أهله » .
 كانت موجهة إلى المغاليق والجعفية في آردنـا الحديثـاـ مـالـيـسـ لهـ ثـلـاثـ بـيـتـاـ بـهـ عـلـىـ الرـوـاـيـةـ طـالـبـ الـمـسـرحـ .
 في وقتـ . كماـ يـجـتـعـ لـجـعـفـيـةـ فـ حـاجـزـ الـأـدـبـ . حـصـنـ المـغـالـيـقـ . آنـاـ شـعـرـ لـهـ رـبـيـ فـ هـرـ تـرـاشـاـ بـالـدـرـاجـ .
 فـ نـفـوسـناـ وـعـقـولـنـاـ وـلـمـ يـكـيـنـ عـلـىـ مـنـافـيـةـ وـلـمـ تـكـنـهـ قـدـ ظـهـرـتـ لـهـ قـضـيـةـ مـعـاـهـةـ شـتـوـعـهـ الـيـنـ . أـوـ .
 الـدـخـانـ . . . الـأـدـبـ ذـهـبـ تـوـفـيـهـ كـيـمـ الـأـدـبـ . الـأـدـبـ فـ حـارـشـنـاـ نـهـادـ دـلـلـ مـلـهـوـ . الـمـوـالـيـةـ .
 الـقـيـمـ وـلـدـتـ وـأـعـلـمـتـ قـبـلـ وـصـوـلـهـ بـشـرـ أـوـ شـهـيـةـ . وـكـاـمـهـ مـدـدـ شـهـيـةـ كـيـمـ الـقـيـمـ الـقـيـمـ الـقـيـمـ .
 فـيـ لـفـيـ وـلـهـ زـبـ . شـعـلـتـ بـنـهاـ دـهـتـ خـاءـدـ لـشـعـلـيـهـ فـيـ سـيـنـ الـشـعـرـ . . . طـائـشـ فـيـ اـجـلـ .
 وـفـيـهـ سـبـرـ اـدـرـوـيـاـ . وـكـاـمـهـ تـرـسـيـهـ كـيـمـ قـبـلـ وـصـوـلـهـ بـاـيـسـ . سـهـ لـمـازـيـهـ لـسـيدـ شـهـيـةـ زـيـبـ .
 يـسـعـ : بـلـزـاـدـ . وـبـنـيـرـ فـيـهـ وـرـيـاضـ مـاـنـدـعـ لـلـفـيـهـ مـهـ . بـشـكـلـ . وـلـيـتـ كـاـمـهـ شـهـيـهـ فـيـ
 الـشـعـرـ لـمـاعـيـ بـاسـلـوـ . الـمـدـيـ : سـرـهـ بـالـشـعـرـ لـتـنـظـمـ وـلـرـاهـوـ بـالـشـهـرـسـ . كـلـتـهـ لـمـاعـهـ .
 شـهـيـةـ وـهـوـيـقـيـةـ سـعـزـهـ . وـهـبـهـ ذـلـلـهـ شـيـرـتـ مـهـ لـشـعـرـ لـهـرـيـالـ بـهـجـيـهـ لـهـزـهـ كـادـ يـجـنـيـهـ .
 وـلـيـلـهـ بـيـعـهـ مـاـكـيـتـ وـقـنـدـالـ . وـسـيـبـهـ الـأـدـبـ الـعـقـفـ الـزـنـ . كـاهـ جـلـهـ مـهـ . وـبـنـيـرـ الـصـورـهـ
 لـعـبـاـيـ . وـمـذـ صـرـرـةـ الـخـيـولـ وـلـهـ تـعـدوـ ضـرـبـاـ اـنـ صـوـتـ اـنـ سـوـنـ فـيـ بـوـنـيـهـ مـهـ .
 الـعـدـوـ . . . قـالـتـ لـلـآـيـةـ الـهـرـيـقـ فـ سـوـرـةـ وـلـعـادـيـاتـ : .

والعاـدـيـاتـ ضـبـيـاـ

نـالـمـورـيـاتـ فـذـحـاـ

فـالـغـيـرـيـاتـ صـبـيـاـ

نـاـشـرـهـ بـهـ نـقـعـاـ

فـوـسـطـهـ بـهـ جـمـاـ

إـهـ لـرـشـاـهـ لـرـبـهـ لـكـنـورـ

وـأـسـلـمـهـ تـوـفـيـهـ كـيـمـ مـهـ صـدـهـ لـلـهـ . . . شـرـأـكـيـهـ مـاـ ١٩٥٦ مـاهـ فـيـهـ :

لـنـفـسـ صـيـغـهـ سـيـفـ خـيـولـ

لـنـدـرـوـ لـلـدـاهـ فـيـ وـهـادـ نـعـسـ

أـسـعـ فـيـ اـعـماـقـهـ بـصـوبـيـنـ

أـسـنـوـهـ مـهـ الـكـاهـ بـاـسـ

أـنـكـ فـيـ غـيـرـمـ شـرـمـ

الصفحة الأولى من مقال توفيق الحكيم والذى فتح به ملف قضية التأصيل للشعر الحديث وإن بدا
 أنه عند النشر قد كتب مقدمة جديدة غير تلك التى احتفظ بها ونشرها هنا للمرة الأولى.

فالحقيقة الفنية والحقيقة الدينية تستطيعان الحياة على الرغم من ظهور
الحقيقة العلمية.

هكذا ينظر شيخ المفكرين توفيق الحكيم، إلى الشعر كفن خالد عندما
عبر عن رأيه هذا في "فن الأدب" منذ أكثر من ثلاثين سنة، موضحاً أنه رغم
معرفتنا مثلاً بحقيقة القمر كجم ميت لاماء فيه ولاحياة، إلا أن هذه الحقيقة
العلمية لن تمنعه من التأثير في نفوسنا الشاعرة.

تحطيم المفاهيم السائدة

وهذا اليقين بحياة الشعر الدائمة وأهميته في حياتنا الأدبية، هي قضية
قديمة عند توفيق الحكيم وإن لم يكن قد كتب فيها كثيراً لأن اهتمامه كان
موجهاً إلى القوالب الجديدة في أدبنا الحديث مما ليس له تراث يعتد به مثل
الرواية والمسرح، وفي وقت كان المجتمع الجديد في حاجة إلى هذه
القوالب الجديدة.

أما الشعر العربي فهو تراثنا الخالد الراسخ في نفوسنا وعقولنا ولم يكن
 محل مناقشة، ولم تكن قد ظهرت له قضية معاصرة تستحق البحث
أو الاهتمام.

إلى أن ذهب الحكيم إلى باريس في أوائل العشرينيات فصادف ذلك
ظهور "السريالية" التي ولدت وأعلنت قبل وصوله بشهر أو شهرين، وكان
من نتائجها تحطيم الكثير من المفاهيم السائدة في الفن والأدب، فحطمت فيما
حطمت قواعد الشعر التقليدي فيما سمي بالشعر الحر، وانتشر في إنجلترا
وغيرها من بلاد أوروبا.

في مسجد السيدة

وكان توفيق الحكيم قبل وصوله إلى باريس من الملازمين لمسجد
السيدة زينب، يسمع "القرآن" ويفكر فيه ويتأمل ما أبدعه الله فيه من "الشكل"،
وكيف كان يثير في النفس الاعجاب بأسلوبه الفريد، الذي لا هو بالشعر

المنظوم ولا هو بالنشر المرسل، لكنه طاقة إلهية موسيقية معجزة، وذلك ما جعل توفيق الحكيم ينصرف عن الشعر السيريالي الجديد الذي كاد يحتذيه ويقلده في بعض ما كتب وقذاك، ويتجه إلى المصحف الذي كان يحمله معه، وينظر إلى صوره باعجاب، ومنها صورة الخيول وهي تundo ضبها، أي صوتت أنفاسها في جوفها من العدو.

قال الخالق الأعظم في الآيات الكريمة من سورة "العاديات"

"والعاديات ضبها."

فالموريات قدحا.

فالمغيرات صباحا.

فأثرن به نقا.

فوسطن به جمعا.

إن الإنسان لربه لكنود.

واسْتَلُّهُمْ تَوْفِيقُ الْحَكِيمِ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، شَعْرًا كَتَبَهُ عَامٌ ١٩٢

قال فيه:

تنفس صبح من أنوف خيول

تundo لا هثة في وهاد نفسي

أسمع في أعماقى الصهيل

امنعواها من اللحاق بأمسى

إنها في غيوم تمرق

تنساقط من سنابكها شهب تبرق

وتغرق في عيون سود.

الجديد دائمًا

ولم يكن توفيق الحكيم يقصد شيئاً بهذا الشعر، ولا أن يدعو إلى شيء كان كل ذلك فيما يظهر بعيداً عن خاطره، ولكنه كان في جو التأثر بكل جديد حوله، وقد جرء التأثر بجو السريالية في ذلك العهد وما يعنيه من تحطيم القواعد القديمة، إلى أن يتأثر بالقرآن الكريم وخاصة في سورة المكية، وقد كان القرآن الكريم شيئاً جديداً بالنسبة إلى الشعر الجاهلي، وظل جديداً إلى اليوم.

ما يهدى الشعر الجديد

ونحن اليوم بالذات نتجه إلى شعر جديد يتحرر من قيود الوزن والقافية مما يلتزم به الشعر التقليدي، وكما يرى الحكيم فإن استلهام الشعر الجديد عندنا، كان صدى لما حدث في أوروبا مما عاصره في أوائل العشرينات عندما زار باريس، وقد ذكر بعض رواد هذا الشعر الجديد تأثره باليوت الانجليزي، وهنا تتبه توفيق الحكيم إلى أنه سبق له في العشرينات أن تأثر بالقرآن في هذا الاتجاه، فلماذا لايفطن شعرنا الجديد إلى الأولى والأجدى به أن يكون النموذج له في التأثر، وهو القرآن الكريم الذي خرج عن الشكل المعهوم به في الشعر العربي التقليدي وقواعده.

وفي رأى الأستاذ الحكيم أنه إذا فطن هذا الشعر الجديد وشعراؤه إلى هذا المصدر لتكونت بذلك شخصية الشعر العربي الجديد الذي بدا للجميع أنه كالزهور الصناعية لاتبت جذوره من أرضه، بل من أرض أجنبية، وهو ما يهدده بالذبول والزوال، وينذر بالعودة إلى التراث الراسخ في القلوب والأسماع وهو الشعر العربي التقليدي.

بدلاً من اليوت

ولهذا فإن توفيق الحكيم يعتقد أن الذي ينقد الشعر الجديد ليس مجرد التعديل في التفاصيل ونحو ذلك من الشكليات التي يثبت بها عدم انفصالة عن تراثه (والواضح أن هذا الانفصال حدث بعد الحرب العالمية الأولى مواكباً

لما حدث في أوروبا للشعر الجاهلي).. ولكن الذي ينقد الشعر الجديد فعلا هو انتصاره إلى كتاب العربية والإسلام الأكبر وهو القرآن الكريم، وكان هو في نفس الأسلوب والشكل، النموذج الجديد الأعظم الذي واجه الشعر الجاهلي الراسخ، بتجديده المبين.

ولذلك يدعو توفيق الحكيم، المجددين من المبدعين في الشعر الحديث أن ينظروا إلى تجديدهم في القرآن الكريم بدلاً من احتذاء شعر "البيوت" وغيره من شعراء المجددين في أوروبا.. فما رأيهم؟

المبرر الوحيد

ويرى توفيق الحكيم أن المبرر الوحيد لتغيير التفاعيل والقوافي، مما هو جوهر هذا الشعر الجديد، أن يتوجه استخدامه إلى مجال "الدراما" والمسرح والقصة، أي القوالب الجديدة في عالمنا الجديد.. أي مما لم يكن معروفاً من قبل في تراث الأدب العربي القديم ، فالجديد يلائمه الأسلوب الجديد.

هذا ليس بشاعر

وفي قضية الشعر عامه يقول توفيق الحكيم في كتاب قديم له عن "أدب الحياة"، إنه ليس من يتمكنون بعمود الشعر القديم وأوزانه وقوافيه بغير جدال ومناقشة، فهو مستعد دائماً للإصغاء إلى كل رأي جديد.

وليس كل شعر يدّمج على الطريقة القديمة يعجبه، فمن شعراء العصور الحديثة من يحاول تقليد القديم بفخامة الدبياجة وغرابة اللفظ ورصانة العبارة ورنين الوزن والتزام القافية، فإذا به يجد الصخرة الصلبة حقاً ولكنه لا يجد الماء الزلال.. إذا به يجد الناظم ولا يجد الشاعر.

وان هناك من يزعم أنه شاعر مجيد لمجرد أنه يملك قاموساً عربياً، ويجيد القوافي والأوزان، ويجد من يصدقونه، ويظنون أنه يقول شعراً، وفي الحقيقة ليس بشاعر ذلك الذي يقدم الصخرة ولا يفجرها حياة.

كما أنه ليس بشاعر ذلك الذي يغرف من نهر النثر كلاماً مثل كل كلام.

.. كل هذا من حيث الشكل.

مصباح علاء الدين

ولكن من حيث الموضوع فالمسألة تحتاج إلى بحث آخر : هي المعانى، فما هي المعانى الجديدة التي يجب أن يتناولها الشعر الجديد؟.. هل كل موضوع تتناوله الصحف ويتحدث به الناس في المجالس يصلح للفن الشعري.

هل موضوعات النثر تصلح أيضاً موضوعات للشعر؟

كل هذه تساولات يطرحها الاستاذ الحكيم، ويطرح معها صورة الشعر كما يجب أن تكون وهو أنه كمصاحف علاء الدين يكشف لك عن كنوزك أنت المخبوءة في أعماق نفسك، وليس بالكيس المملوء الذي يفرغ في خزانتك الخاوية، وعلى هذا فالموضوع الذي يعالجه الشعر يجب أن يكون متفقاً مع رسالته.

أى أن يكون الموضوع شفافاً مضيفاً له قوة الكشف على عالم غير محدود، وليس موضوعاً تقليلاً يملأ الرأس بمادة محدودة.. ليس مجاله أن يكون أخباراً وحوادث وتوارييخ ومقولات مرددة ممضوغة مما استهلكها النثر فلم يبق للشعر إلا أن يضعها في "العلب نظماً محفوظاً".

وعلى هذا النحو لا يريد شيخ المفكرين توفيق الحكيم تعريفاً للشعر بأنه تصوير للحياة - بل بأنه انعكاس الحياة على نفس الشاعر، فالشاعر مثل القمر لا يعطيها الحبة في أشعتها المحرقة ووجهها الذي يعمى البصر، ولكنه ينطلق بعض أشعتها، ويصفيفها من خلال نفسه ويعرضها علينا بعد ذلك ضوءاً جميلاً مهذباً، ترتاح له العين ويسبح فيه الذهن ويأنس له القلب، فيحيي الناس بذلك حياتين، حياة الواقع الأرضي، وحياة الفكر العلوى، وإذا كانت أشعة

الشمس تقول للناس : أنظروا وأبصروا فان الشعر يجب أن يكون مثل القمر حين يستلهم أشعة الشمس لا لينظر بها الناس ويعبروا، بل لكي يشعروا (بضم اليماء وكسر العين)، ويفكروا.

الحاجة إلى نظر

وهكذا، كما يرى توفيق الحكيم، يجب أن تطرح قضية الشعر في عمومه وجوبه : هل هو اخبارى اعلامى، أو أنه ايحائى اشعاعى؟

كل هذه أمور وما سبقها يثيرها شيخ المفكرين توفيق الحكيم حول قضية الشعر، جديد وقديمه، مما يرى معه أنها تحتاج إلى نظر، إذا فتح ملف هذه القضية المهمة في حياة البشر : "قضية الشعر".

فما رأى شعراء النموذج التقليدى، وشعراء النموذج الحر؟..

الشعراء يهاجمون توفيق الحكيم

أثارت هذه الآراء ردود فعل الشعراء الجدد والتقليديين^(*)

سنعرض أولاً للشعراء الجدد باعتبار أن القضية تهمهم أكثر من غيرهم فيما طرحته الحكيم من قضايا متصلة بالشعر الجديد..

الشاعر محمد إبراهيم أبوسنة يقول :

فى الواقع أن الرأى الذى يطرحه الأستاذ توفيق الحكيم عن عدم أصلية الشعر العربى الجديد، رأى خطير للغاية، لأنه أولاً يصدر عن الأستاذ توفيق الحكيم، وثانياً لأنه يجرد الشعراء العرب المحدثين الذين قدموا عطاء فى إطار حركة الشعر العربى الحديث فى هذا القرن، مما يعد أعظم انجاز لحركة الأدب العربى على الإطلاق، وذلك بالخروج بالأدب العربى من إطار المحلية إلى إطار العالمية.

(*) مجلة الإذاعة والتليفزيون ٢١ ديسمبر ١٩٨٥.

العصران العباسي والأندلسي

ويضيف أبو سنة : ولا أتصور أن الاستاذ الحكيم يصدق نفسه وهو يعلن هذا الرأى - بعد أصلالة الشعر العربي الحديث - لأنه يعلم أن حركة الشعر الحديثة هي حلقة طبيعية في حلقات التطور والتتجدد والتى شهد العصر العباسي بداياتها. وشهد العصر الأندلسى تفتحها، حيث خرجت القصيدة من حيث البناء، من الوقوف على الأطلال، والغزل، ثم وصف الراحلة التي يمتطيها الراحل، انتقلت القصيدة من هذا البناء التقليدى.

ثم حدث تطور أكثر نضجا في العصر الأندلسى حيث نشأت التواشيح، والمقاطعات، وبدأ مناخ فنى جديد.

تأثروا .. ولكن

ولكن كل هذا - يقول الشاعر أبو سنة - لا يقاس بالتطور الحضارى، في عصرنا الحديث والذي فرض على الشاعر بالطبع رؤية بالغة الاختلاف عن رؤى الشعراء السابقين، لذلك قفزت القصيدة في عصرنا الحديث، قفزة جديدة تلائم ثقافة زماننا، ولهذا أحب أن أقول إن الحركة الجديدة للشعر العربي الحديث لا يمكن أن تكون مجرد صدى للشعر الأوروبي.

فمن المعروف تاريخياً أن بدء هذه الحركة الجديدة بدأت في ترجمات محمد فريد أبو حديد، وعلى أحمد باكثير، وقصائد ليذر شاكر السياب، ونماذج الملائكة حينما كانوا طلاباً، وصلاح عبد الصبور، فقد قرأوا نماذج للشاعر الانجليزى "اليوت" الذى كان يرفع لواء الحداثة في القصيدة الانجليزية في النصف الأول من هذا القرن، وربما تأثروا بتكتيكيه الفنى، ولكن ليس من الطبيعي أن يكون هذا التأثر المحدود، وراء هذا الانتشار الواسع لحركة الشعر الحديث.

وأدب الحكيم

يستطرد أبوسنة قائلاً : إن الوهم قائم على أساس أن المؤثرات الأجنبية موجودة في أدبنا العربي كله، وليس في الشعر وحده كانت طاغية خلال هذا القرن، خاصة في المسرح والرواية. ومع ذلك فنحن لانقول عن أدب نجيب محفوظ، أو مسرح توفيق الحكيم، أنه مجرد صدى للحركة الأدبية الأجنبية.

والعكس هنا غير متطابق بالنسبة للشعر الحديث، لأنه يتلزم بتقاعيـل الخليـل بن أـحمد، الذي تلتزمـ به القصيدة التقليـدية، ولا ينـكر القافيةـ، وإنـما يـتعامل معـها بـقدر من الحريةـ الفنيةـ التي تـتيـحـ للـشـعـرـ المـعاـصـرـ مـجاـلاـ وـآفـاقـاـ وـأـوـسـعـ لـلـتـعبـيرـ عـنـ تـجـربـتهـ.

ولا أظن أن الأستاذ توفيق الحكيم، يرضى عن جمود الشكل التقليـدي الذي كـبـلـ الشـاعـرـ بـقيـودـ زـائـفةـ، وـحالـ دونـ اـبـتكـارـ أـنـماـطـ فـنيـةـ جـديـدةـ، وـأـنـاـ اعتـقـدـ أنـ حـصـادـ حـرـكةـ الشـعـرـ الـحـدـيثـ خـالـلـ الـثـلـاثـيـنـ سـنـةـ الـماـضـيـ هـوـ أـخـطـرـ اـنجـازـ لـلـشـعـرـ العـرـبـيـ خـالـلـ الـأـلـفـ سـنـةـ، وـإـنـ التـرـمـتـ بـالـمـضـمـونـ التـارـيـخـيـ وـالـتجـريـةـ وـالـموـهـبةـ وـالـإـيقـاعـ الـموـسـيـقـيـ، وـلـكـنـهاـ استـفادـتـ منـ فـنـونـ الـعـصـرـ.

تساؤلات الحكيم

ويستكمل الشاعر محمد إبراهيم أبوسـنةـ ردـهـ عـلـىـ الحـكـيمـ : أماـ فـيـماـ يـتعلـقـ بـأـنـ مـجـالـ الشـعـرـ الـحـدـيثـ هوـ الدـرـاماـ وـالـمـسـرـحـ وـالـقـصـةـ، فـإـنـ الحـصـادـ الشـعـرـيـ القـائـمـ الـآنـ أـظـهـرـ بـوضـوحـ أـنـ الشـكـلـ الجـديـدـ يـخـدمـ القـصـيدةـ الغـنـائـيةـ كـمـاـ يـخـدمـ الدـرـاماـ وـالـمـسـرـحـ وـالـمـلـحـمةـ وـكـلـ الـمـجاـلـاتـ الـأـدـبـيـةـ، ذـلـكـ لأنـ الشـعـرـاءـ لـمـ يـتـخلـصـواـ مـنـ التـقـاعـيـلـ، وـإـنـماـ مـجـردـ إـعادـةـ تـشـكـيلـ لـلـإـطـارـ الـموـسـيـقـيـ وـهـوـ تـشـكـيلـ أـتـاحـ لـلـشـاعـرـ أـنـ يـسـتـخـدـمـ أـسـلـوبـ الـحـوارـ وـالـبـنـاءـ الـدـرـاميـ، وـتـكـثـيفـ الـصـورـةـ وـاسـتـهـامـ الـأـسـاطـيرـ وـالـتـركـيزـ بدـلاـ مـنـ الـأـطـنـابـ.

اما كون الشعر إعلاميا اخباريا، او ايحائيا اشعاعيا، فإن الشاعر في هذا العصر قد أصبح شاهدا يتحمل مسؤولية المشاركة في صياغة أحداث عصره، وهو موقف ربما كان جديدا في أدبنا.

اما تساؤلات الأستاذ الحكيم عن هل موضوعات النثر تصلح لموضوعات الشعر أو لا تصلح، فأعتقد أن كل تجربة تصلح أن تكون تجربة شعرية، لانه لا يوجد لفظ شعري ولفظ غير شعري، والعبرة بالتناول الفنى للتجربة.

صدام لأنريده

نأتى بعد ذلك إلى ما يطرحه الحكيم حول استخدام القرآن الكريم كملهم للشعراء المجدين، وأنا انفق معه، ان القرآن ملهم للشعراء فقط من حيث اللغة، ولكنني أنزه القرآن عن أن يكون موضوع جدل أدبي أو مجرد مصدر لحركة تجديد، لأن دوره أكبر من هذا بكثير، والقرآن نفسه يقول عن الرسول "وما علمناه الشعر وما ينبغي له" وهناك موقف في صدر الإسلام يؤكّد حرج المؤمنين إزاء الشعر بعد أن جاء الإسلام، ولعلنا نذكر قصة "لبيد بن ربيعة" عندما طلب منه عمر بن الخطاب أن يوافيته بقصيدة جديدة ، فأرسل له "سورة البقرة"، وقال له : "إن الله قد أغنانا بهذا"

ونحن كشعراء تأثرنا جميعا بلغة القرآن، وأنا على وجه التحديد حفظت القرآن في طفولتى قبل أن أدخل الأزهر، وكذلك أحمد عبد المعطى حجازى، وكمال عمار، وكثير من شعراء جيلي، والقرآن بكل تأكيد يدخل في نسيج البناء الشعري العربى كله، لأنه العصب اللغوى لأدبنا كله والشعر . فى المقدمة، ولكن قضية الأدب قضية خطيرة إذا ربطناها بالقرآن وهو كتاب مقدس حيث سينشأ موقف يدفع الشاعر إلى الخوف من التطور وعدم الاستجابة الحرّة للعصر الذي يعيش فيه.

والأستاذ الحكيم، بهذا يضيف قياداً جديداً لا يساعد على الإطلاق في الارتقاء بحركة الشعر والأدب، لأنه يوقعنا في صدام مع نمط لغوي لا يمكن التحرر منه لأنه نمط مقدس.

تطوير حركة الشعر العربي

ويتفق الشاعر أحمد سوليم عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، مع الشاعر أبو سنة، في رده على الأستاذ توفيق الحكيم، ويقول : ليس صحيحاً أن الشعر العربي الحديث راقد من روافد الثقافة الغربية، وأنه معذوم الجذور في تاريخ الشعر العربي، فمن يقرأ تاريخ الشعر العربي قراءة متأنية يجد أن ملامح التطور والتتجدد كانت تصاحب دائماً أي تطور في المجتمع.

وقد بدأ التطور والتتجدد حتى في العصر الجاهلي، في أول ثورة متمردة على الشعر والحياة، قادها جماعة الصعاليك، حيث كانوا يكتبون المقطوعات الشعرية القصيرة التي كانت تعبر عن موقف واحد من مواقف غزوهם، فتبرعوا بذلك على القصيدة المطولة كثيرة الموضوعات.

ثم حينما جاء الإسلام كأحدث ثورة اجتماعية ونفسية وعقائدية، كان لابد أن يكون له موقفه من هذه الثورة، وتجلى التطور في العصر الإسلامي في اتخاذ الجماعة الإسلامية مضموناً بديلاً عن العصبية القبلية، كما دخلت مضمونين كثيرة إسلامية وحياتية، إلى الشعر لم تكن موجودة في العصر الجاهلي.

وقد انقسم الشعراء في صدر الإسلام إلى أكثر من فريق، ففريق عبر بشعره عن الجahلية إلى الإسلام، وأحدث تطوراً في شعره، وعلى رأسهم "البيهقي بن ربيعة" وفريق وقف إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ينافح عن دعوته ومنهم "حسان بن ثابت" و "كعب بن مالك"، وقد أكروا في شعرهم هذا التجديد والاختلاف الذي أحدثه الإسلام ، أما الفريق الثالث فلم يكن له علاقة وطيدة بالشعر، ولكن أنطقته الفتوح الإسلامية، فكتبوا الأبيات القليلة

جدا من بحر الرجز ليعبروا عن انتصار، أو موقف من الأداء، أو غير ذلك من المواقف السريعة التي أرzmتهم بها الفتوح الإسلامية.

وحيثما تطور الزمن أخذ كل شاعر يفكر كيف يجدد نفسه، وعلى رأس هؤلاء الشعراء، أبو العناية في افتتاحية القصائد ونبذ الافتتاحيات التقليدية، وأحدث ثورة تجدidية ملحوظة في الشعر العربي.

وسار على منواله وأضاف كثير من الشعراء أمثال أبي نواس والمتبي، وغيرهما إلى أن بدأت حركة الإحياء في العصر الحديث على أيدي البارودي، وبلغ أحمد شوقي بالقصيدة التقليدية مستوى من الإبداع لا يستطيع أحد بعده أن يبلغه، وكأنه يقول للذين يأتون من بعده، افعلا شيئا آخر.

منذ الفراعنة

وهذا ماحدث، حيث توالت جرارات التجديد في شكل ومضمون القصيدة إلى أن وصلت تقاليها إلى الشعر الحديث ، وبهذا فإن جذور التجديد في الشعر العربي عميقه ممتدة لها تاريخ عربى خالص، وإذا كان الشعراء قد تتفقوا أو أضافوا إلى ثقافتهم ثقافة غربية، فهذا يحمد لهم، ولكنها ليست كل شئ لدى هؤلاء الشعراء.

ونحن لانستطيع أن نقول أن الشعر العربي الحديث صدى للحركة الشعرية الأوروبية الحديثة، لأن الشعر الحديث ليس ابتكاراً أوربياً، وإنما إذا شتنا الدقة التاريخية، فقد كان للفراعنة السبق في معرفة مانسميه بالشعر الحديث، وفي الأدب الفرعوني القديم مايدل على ذلك.

القرآن

أما ماكتبه الأستاذ توفيق الحكيم كشعر استلهمه من القرآن الكريم، فهو تقليد ماسنخ للقرآن، لأن القرآن ليس شعراً، ثم إن هذا النموذج الذي أتى به فيه خلل كثير في الوزن، فالشعر ليس ايقاعات فارغة ولكنه إلى جانب ذلك

امتزاج بمضمون حيائى له قيمة، وله إضافة فى وجdan المتنقى، وأنا أعتقد أن القرآن يمثل ملهمًا جيداً للشعر العربي لو أقبل الشعراء عليه.

ولقد جمعت بيبي و بين الأستاذ الحكيم جلسة نقاشت فيها معه قضية أصلية الشعر الجديد، ولكن للأسف الشديد، وجدت أستاذنا لا يتبع كل ما يكتب في الشعر الحديث، بل وجدته يقرأ فقط ماينشر في صفحة الأدب يوم الأحد بالأهرام، على أنها نماذج تمثل الشعر الحديث، فقلت له : إن ماينشر نظم وليس بشعر.

لَا خُوف

وأنا أعتقد أن الشعر الحديث يمكن أن يكون له أكثر من أفق، نستطيع أن نكتب به القصيدة الغنائية، والقصيدة الدارجة والمسرح الشعري، والملحمة الشعرية، والكتابة للطفل، لأن الشعر الحديث أكثر قدرة على استخدام معطيات الأوان الفنون الأخرى.

ارتباد المجهول

ومن ناحية الوجдан وتسجيل الأحداث شعراً، وعما إذا كان الشعر إخبارياً إعلامياً أو إيجائياً إشعاعياً - يقول سويلم - قد يكتب الشاعر برواية سياسية أو اجتماعية لكنه لا يدخل إلى السياسة ولا إلى الاجتماع.

ولا خوف على الشعر الحديث من العودة به إلى الشعر القديم كما يقول الأستاذ الحكيم، لأن الشعر الحديث شعر أصيل بجذوره العربية، وكثير من مبدعيه يؤكدون مسيئته عن قدرة وعطاءه.

* * *

ومازالت الردود على الأستاذ توفيق الحكيم تتواتي^(٤) يتحدث الشاعر فاروق شوشة، فيقول : - لا أعتقد أن توفيق الحكيم كان جادا حين أطلق هذا الكلام، وإنما هي محاولة جديدة من محاولاته التي، لاتنتهي، - لإثارة الجدل

(*) مجلة الإذاعة ٤ يناير ٨٦

وتجذب الانتباه، ولست أعتقد أن هذه النماذج القرآنية - من بعض السور الكريمة - تشكل نقطة انطلاق لموسيقى الشعر الجديد، أو تحمل معالم الأبوة الشرعية لهذا الشعر

أبوة الشعر

فهو مخاطبة رفيعة للنسق الموسيقى عند العربي المستقبل لنزول سور القرآن الكريم وأياته ومن هنا كانت وقفة الاحساس الكامل بالعجز، عند العربي في وجه هذا الإعجاز البیانی في النسق القرآني.

كذلك فلست أرى أن شعرنا الجديد وليد التأثر باليوت وغيره من شعراء الغرب، فمهما بلغ التأثر بمثل هذه الرواقد الأجنبية، فإنه لا يخلق حركة شعرية بهذا العمق والشمول، والقدرة.

ولذا، فاني أرى أن أبوة الشعر الجديد الحقيقة، تتمثل في القصيدة الكلاسيكية، في تطورها واستمرارها ومحاولاتها الدائبة - عبر العصور المختلفة - للتشكل والتزكي والتحول، ورصد هذه التحولات في مسيرة القصيدة العربية بدءاً من العصر العباسي وانطلاقاً إلى عصرنا الحاضر - كفيل بالتعرف على قسمات هذا التجديد وملامح هذه الثورة المستمرة، وعيها وعروضاً ونغمها وبناء، وصولاً إلى حقيقة القصيدة الجديدة، التي لن تكون آخر صيغ القصيدة العربية، وإنما بدورها وطبقاً لمنطق الإبداع والتجاوز - حلقة في سلسلة، وخطوة في مسار.

شجرة الشعر

ولست أدرى لماذا نجده أنفسنا في البحث عن جذور للقصيدة الشعرية الجديدة، خارج إطار الشعر العربي ذاته؟ مرة بالتغيير وتحميم "اليوت" عباء هذه المسئولية أو هذا الشرف، ومرة أخرى كما يفعل الحكيم اليوم في بعض صيغ القرآن وفواصله الموسيقية.

إن قصيدة الشعر الجديد بانتماها إلى شجرة الشعر العربي، لا تشغله نفسها بالبحث عن شهادة جديدة بالشرعية، ولا هي في حاجة إلى أبوة - شرقية أو غربية - خارج إطار الشعر العربي ذاته، التي هي ملحم جدته وعصريته ، وقدرته على المغامرة والتجاوز ، وعدم الثبات داخل إطار تقاده حيويته، وامتلاءه بالنفس الحاد والمتوهج، حرارة الإنسان وتوهجه، حرارة إبداعه المعانق لرحلة الحياة والوجود.

ويقول الشاعر فاروق جويدة :

إذا كان كان أستاذنا الكبير توفيق يقصد بقوله أن ما يعرف بالقصيدة النثرية ومحاولات التحطيم والتكسير في شكل الشعر العربي التقليدي ينذر بالعودة إلى الشعر التقليدي، فأنا معه، وأما إذا كان يقصد شعر التفعيلة "الشعر العربي الحديث" وهو في رأيي ملتزم بالإطار التقليدي للقصيدة العربية، فليسمح لي أن أختلف معه.

ففي اعتقادى أن قصيدة التفعيلة ليست خروجا على الشعر التقليدى لأنها تلتزم بالتفعيلات الخليلية التي درج عليها الشعر العربى منذ مئات السنين .

والتغير الوحيد الذى حدث هو في عدد التفعيلات وشكل القافية، وإن كنت واحدا من الذين يؤمنون بضرورة القافية في القصيدة الشعرية في أي شكل من الأشكال، لأن البعض منمن يحاولون الاجتهد في حركة الشعر الحديث قد أهملوا تماما. جانب القافية، وكان تركيزهم على موسيقى البيت.

صور

أما ما يسمى بالقصيدة النثرية، فمن الممكن أن تسمى أصحابها أي شيء آخر غير أن يكونوا شعراء.

فأنا أرى أن هذا قصور يحاول أن يرتدى وجه الحق والحقيقة، يضاف إلى هذا أن الأخطر من ذلك هو موجة الغموض، التي تحتاج الآن القصيدة

العربية، وهى موجة مستوردة، لأن الشعر العربى شعر له جذوره وله تاريخه، وليس وليدا جديدا مثل القصة القصيرة أو الرواية أو المسرح، فهذه الفنون جميعها لم يتجاوز عمرها مائة سنة فى تاريخ الأدب العربى، أما الشعر فعمره أكثر من ١٥٠٠ سنة.

وخوفي على الشعر يرجع إلى سبب آخر هو أن ضرب الشعر العربى فى حقيقته ضرب اللغة العربية فى حقيقتها، وضرب للقرآن، وهنا يصبح القضية أكثر من جانب، وتصبح المشكلة أكثر تعقيدا.

ولكننى أطمئن أستاذنا توفيق الحكيم أن مياه النهر أكثر من أن تحتجزها بعض الطفليات التى قد يتصور البعض أحيانا أنها قادرة على أن تغير مجرى، فلنا لا أخاف على الشعر العربى ولا أخاف على اللغة العربية من هذه التنوءات التى قد تظهر هنا أو هناك، والشعر قادر على أن يتخلص من كل الشوائب التى يمكن أن تقف فى مجرى أو تعترض مسيره كما أن الزمن كفيل بأن يسقط كل عبث وأن يبعد كل رخيص.

وأنا مع الأستاذ الحكيم بأن الشعر إيمانى إشعاعى، إخبارى إعلامى، وأنا موافق أيضاً على قوله بأن المنطق الوحيد لحركة الشعر الحديث هو القصيدة الدرامية أو المسرح الشعري، وأنا شخصياً لم أستخدمه إلا فى هذين الغرضين.

أما استلهام القرآن فى الشعر الحديث كما يراه أستاذنا الحكيم فلا تعليق لى عليه.

الاسبقية

أما الشاعر فتحى سعيد فيعلق على ما قاله الأستاذ الحكيم بقوله :

لا .. هذا كلام يفتقد المنطق، ويناقض صيغورة الشعر العربى وتراثه الممتد عبر ١٥٠٠ سنة هى عمر القصيدة العربية منذ شدا بها الشعراء فى العصر الجاهلى قبل الإسلام، بينما عمر الشعر الغربى، والإنجليزى خاصة

لا يزيد على أربعة أو خمسة قرون، أما الأسبقة هنا للقصيدة العربية، والتراث يفرض على سائر أشعار الشعوب السبق والتميز.

ولم يكن الشعر الجديد إلا حفيداً للشعر العمودي العربي الأصيل الذي شهد موجة تجديدات تضارع شعر التفعيلة، فقد كسر العرب العمود الشعري، وأضافوا البحور الغنائية الراقصة، ثم جاءت الموشحات نوعاً من التجديد، أثار لغطاً في حينه، وظل الشعر يتتطور إلى أن أخذ صورته في شعر التفعيلة في الأربعينات. وإن كان بعض الشعراء المجددين قد تأثروا "باليوت" وكلوردج في الشعر، إلا أن تجديدهم كان نابعاً من أعماق عروبتهم الشعرية، ومن جذور تراثهم الممتدة طيلة هذه القرون حتى أفرغ الشعر الجديد، وبالتالي فقول الأستاذ الحكيم مردود عليه.

لا يأتيه الباطل

أما القرآن فهو مصدر ثرى جداً للشاعر، لأن إعجاز يقام اللسان ويتحدى البيان ويملاً وجدان الشاعر بحلوة الموسيقى والإيقاع، وقد أضاف القرآن للشاعر الذين حفظوه ملامح خاصة أثرت شعرهم.

أما تقليده، فهو كتاب لا يأتيه الباطل من خلفه أو من أمامه، وهو إعجاز من التنزيل لا يمكن مجاراته، ولكن يمكن الالتفاف من منابعه، والنموذج الذي ساقه الأستاذ الحكيم نموذج نثرى لا يوجد فيه إيقاع الشعر ولا يرقى إلى كلمات القرآن الكريم.

وأنكره بمحاولاته في "تشيد الأنشاد" الذي حوله إلى تراتيل جميلة فتنا بها في سن الشباب.

وحيثه عن مجالات استخدامات الشعر الحديث في الدراما والمسرح، فهذا صحيح، لأن تفعيلات الشعر الجديد تتيح للشعر انطلاقاً أكثر بجانب أن هذا هو تطور لابد منه ويناسب مقتضيات العصر، لأنه لا يستطيع قارئ هذا العصر أن يقرأ المعلقات مثلًا أو يسمعها، ولكنه يستطيع أن يقرأ ليوانا

من الشعر يتميز بالبساطة والموسيقى يمس وجده في زحام الحياة الآن، لأن الشعر رؤية عليا ورؤية خاصة، وهو أعلى مستويات الفن قيمة، حتى وصف القرآن بأنه ليس شعر ووصف الرسول بأنه ليس شاعرا، وذلك اعتراف بتميز الشعر.

فالشاعر حدة واعية تسجل الصور أدق مما تسجلها الكاميرا.. وكلما اكتشف الشاعر ذاته ويتجاوز عالم الدهشة والبراءة كلما جاء شعره على نفس المستوى حتى قيل : إن الشاعر نبى وأن له رؤية ووحيًا.

ولا يوجد شيء اسمه شعر النثر، لأن النثر له فرسانه مثل جبران والرافعى والمنفلوطى والزيات، ولا يقال عنهم شراء، أما الشاعر فهو نبض القلب معزوفا على إيقاع الروح، فلا يجب الخلط بين الاثنين، كما أن القصيدة النثرية المسماة خطباً بذلك لا تعنى بانتشارها العودة إلى الشعر العمودي.

لم تخرج عن النطاق

ويرى الشاعر مهران السيد :

رواد هذا الشكل الجديد قد استفادوا بالقطع من الشعر الأوربى.

ولكن إذا أردنا أن نقول أنه نقل للشعر الأوربى فقد كان يجب أن يقوم على التبر والإيقاع، وما إلى ذلك من خصائص الشعر الأوربى.

ولكن المدرسة العربية الحديثة، اعتمدت على التفعيلة الخليلية لبناء القصيدة الجديدة، وهى بهذا لم تخرج عن نطاق الشعر العمودى الموروث، أيضاً لا يمكن أن نطلق صفة على أي نمط من أنماط الشعر بأنه أوربى أو عربى إلا من خلال شكل القصيدة فقط، أي الشكل العمودى فقط.

استنفذ أغراضه

والشعر الجديد أصبحت له السيادة في الساحة، ذلك لأن الشكل العمودي استنفذ أغراضه، ولا يعتقد أن الشعراء العظام قد غابوا بالفعل.

وأعتقد أن هذا جزء من طبيعة العصر الذي نعيش، فلا يوجد من يحتمل مكان أو يظفر بقيمة الكلاسيكيين، ليس في مصر وحدها، ولكن في اعتقادى في كل أنحاء العالم.

والذى يحدد عمر الجنس الأدبى هو مدى استيعابه لهموم وقضايا الإنسان ومدى تمثيله لقضايا شعبه وبلاده، لأننا نعيش زمانا لا يمكن مثلا أن تعيش فيه الرومانسية، وأنها في ظروف مثل ظروف مجتمعنا تصبح شديدة الغربة، وتتفا لامعنى لها، ويمكن الاستغناء عنه، كما ننادى بالاستغناء عن الكماليات المادية.

كما أن القصيدة الجديدة أكثر اقترابا وتلامسا مع نفسية المتلقى، وقد مدلت جناحيها إلى آفاق أعتقد أنه لم تصل إليها أو تطرقها القصيدة التقليدية، وقد يكون ذلك للتغير الظروف، وقد يكون ذلك من ناحية قدرة الشكل الجديد على استيعاب الأفكار بدقة وتفصيلها.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المسرح الشعري يعد نقلة بعيدة نقل إليها الشعر الجديد، المسرح.

الموجة الجديدة

أما الموجة الجديدة التي يدعو إليها أدونيس الذي يسعى كما يدعى إلى خلق ما سماه بالحساسية الجديدة، والتي تعنى في الأساس إلى رفض الهيمنة القديمة المتمثلة في عمود الشعر العربي، ثم اندفع إلى بعد من ذلك إلى رفض صنمية القصيدة الجديدة القائمة على التفعيلة الخليلية، ثم نادى باعتماد "المحكيات" بمعنى اللهجات المحلية، فأعتقد أنه عند هذه النقطة تتضح لنا

المهمة الأساسية له، وهي ضرب اللغة العربية في كافة أنحاء الوطن العربي، وذلك إذا ما تمت سيادة هذه اللهجات المحلية.

وهذا يعني تفكيك هذا الوطن الكبير، ودفعه إلى الانعزال وتكريس الإقليمية بتفكيك هذا الوجдан الجماعي، وهو الرابط الوحيد لهذه الأمة وبالتالي لا يكون لديها السلاح الواحد الذي يجمعها في مواجهة كل التحديات المحيطة به.

أمر ليس واردا

ولعل الأستاذ الحكيم قد أدرك ذلك فراح يدعو إلى استلهام القرآن في الشكل والأسلوب، بالنسبة للقصيدة الجديدة، على اعتبار أن القرآن هو الذي يحمي اللغة العربية من كل التحديات وبالتالي إذا لجأ الشعر إليه، فإنه يحمي نفسه به.

واستلهام معانى القرآن في الشعر، أمر وارد باستمرار، أما أن استلهام شكله وأسلوبه، فالقرآن ليس شعرا، ولكنه لغة سماوية أعجزت أعنى فصحاء العرب، ومحاولة تقليله، أعتقد أنها محاولة غير صائبة بالمرة، وليس واردة.

* * *

جاء^(*) الآن دور شعراء القصيدة التقليدية أو الأصيلة كما يقولون ليشاركونا برأيهم حول القضيتين الأساسيتين في ملف الشعر والشعراء الذي فتحناه مع شيخ المفكرين توفيق الحكيم حول البحث عن جذور يستند إليها الشعر الجديد الذي قال الحكيم إنه أوري الصوت والصدى مما ينذر بالعودة إلى الشعر التقليدى وهو لهذا يقترح النظر في القرآن الكريم واستلهام شكله وأسلوبه لإيجاد تلك الجذور المفقودة للشعر الجديد، كما نختتم الملف برد الناقد الكبير د. عبدالقادر القط.

(*) مجلة الإذاعة ١٨ يناير ٨٦.

فيقول الشاعر محمد التهامي..

أنا متفق مع المعنى الذى ورد برأى الأستاذ الحكيم وهو تأثر الحركة الشعرية الجديدة تأثراً كبيراً بالشعر الأوربى وخاصة شعر اليوت بالذات وخاصة قصيده "الأرض الخراب" التى بمزيد من الأسف تشيع تعابيرها الشعرية فى قاموس عدد كبير جداً من الشعراء المجددين وأنا هنا لا أرفض اختلاط الثقافات وتأثر بعضها بالبعض الآخر، ولكن حين يصل الأمر إلى مرتبة النقل فإن ذلك يصبح عيباً.

وشعر التفعيلة قد توفر عليه عدد من الشعراء المجددين النابهين، وتحمس له عدد كبير جداً من النقاد، وفي غمرة الحماس للدعوة الجديدة هاجموا الشعر الخليلى "التقليدى" وكان ذلك عيباً كبيراً أيضاً.

وبعد أن خطأ الشعر الجديد بعض الخطوات التي يمكن أن يقال أن لها وزناً شعرياً إلا أنه لجأ إلى المنفذ الطبيعي له وهو المسرح، ثم توقف الآن أو كاد حين انطلق الدعاة الجدد إلى القصيدة النثرية، ووقف النقاد منهم موقفاً مضطداً، وكانت النتيجة أن الحركة النقدية جانبها الصواب لأنها في هذه الحالة تكون قد هزت الشعر عاملاً سواء كان شعراً تقليدياً أو جديداً لأنه سبق لهذه الحركة النقدية أن هاجمت الشعر الخليلى ورحببت بالشعر الجديد، ثم عادت لتهاجم الشعر الجديد مرة أخرى، وفي هذا التضارب خطر على الشعر عاملاً، وإن كان هذا بوجه عام يبشر "ولا أقول ينذر كما قال الحكيم" بالعودة إلى الشعر الخليلى.

الإجماع

نأتى إلى حديث توفيق الحكيم - يضيف الشاعر محمد التهامي - ودعواته للشعراء المجددين، إلى النظر في تجديدهم إلى القرآن، بدلاً من احتذاء شعر اليوت وغيرها، وهذا الكلام خطير وميسور جداً الرد عليه، لأن هناك إجماعاً، بنص القرآن وكل المؤمنين والدراسات

القرآنية، أن القرآن ليس بشعر كما يقول الله في القرآن " وما هو بقول شاعر" فلماذا نتمسح في القرآن وما علاقة القرآن بالشعر، إن هذا نوع من العبث، حاوله، كفار قريش عندما حاولوا أن يستلهموا من القرآن آيات يقلدونها. إنى أرجو رجاء ملحاً بعد عن القرآن.

نعم هو ملهم

أما الشاعر إبراهيم عيسى فيؤيد : أن ما ي قوله الحكيم من أن الشعر الحديث هو صدى للصيحة الحديثة في الشعر الأوربي، هو حقيقة، وإذا عاد الشعراء الجدد بشعرهم إلى الشعر الأصيل فهذا معناه عودة الإنسان العربي إلى أصله وجذوره وحقيقة، بعد اغتراب.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فيما يتعلق بالقرآن، فهو ملهم للشعر في صوره وأخيلته وقصصه، والاستعمال لا يكون مباشراً، ولكن عن طريق الرمز والایمان.

الأوتار

ويؤكد الشاعر عبد المنعم الأنصاري على أن حركة الشعر الحديث قد أضرت بحركة الشعر العربي وأوقعت نفسها في مأزق لا تعرف كيف تخرج منه، إذ أن هذه الحركة قد أوقعت نفسها في الإغراب والتعميم والغموض الذي يستحيل على الفهم، وأنا متفق مع الأستاذ توفيق الحكيم أنها حركة بلا جذور لأنها نزعـت نفسها من التراث العربي، واستمدت ينابيعها من شعر الغرب، وهو شعر يعبر عن شعوب قد بلغت مستوى حضارى يموج بالترف والضجر والسلام، مما يجعله متعارضاً مع منابعـنا الواضحة البناءة.

وأنا أيضاً متفق مع الأستاذ الحكيم في أنه يمكن أن يستلهم من القرآن صوراً عديدة ولكن لا نقلده.

وبوجه عام نحن الشعراء القدامى، نقبل الشعر الحديث كشكل يضاف إلى الأشكال الشعرية، وليس هو البديل للأشكال المتعددة بما فيها من موشحات ومقاطعات وجزئيات.. الخ

والشعر الذى يقولون عنه إنه جديد ليس جديدا، إذ أنه طريقة تقوم على التفعيلات الخليلية، التى يقوم عليها الشعر العربى، فهم لم يأتوا بموسيقى جديدة ولم يضيفوا شيئاً عليها وإنما أنا أراهم كمثل الذى فى يده آلة موسيقية فيها عشرون وترا فأهل الأوتنار العشرين وعزف على ثلاثة أوتار فقط.

وأستطيع أن أقول أن الشعر الحديث جزء من الشعر القديم، ولكن بشكل آخر والنماذج الجيدة قليلة. والأصوات المتفردة أقل ، ولاشك أن هذا ينذر بالعودة إلى الشعر الذى تعرفه العرب.

حصن المسرح

ويبدى الشاعر إسماعيل عقاب أيضاً اتفاقه مع آراء الأستاذ الحكيم مضيفاً، أن الشعر الجديد حينما وجد في أوروبا وجد لكي يكون لغة للمسرح وليس من أجل القصيدة المفردة، ولكي يظل الشعر الجديد مواكباً للعصور التالية عليه لا يترك حصن المسرح، فهذا يحفظ له الخلود والبقاء.

والقول بأن الشعر الجديد هو حلقة من حلقات التطور، قضية مختلفة، لأن الشعر الحر فن غربى نقل إلى العرب، وأما الادعاء بأن الشعر العمودى يلجاً إلى الافتعال حتى تكتمل أبيات القصيدة وزناً وقافية ، فإن من يدعون ذلك يقولون من منطلق عجزهم عن امتلاك الموسيقى الشعرية ببحورها المتعددة.

أصل إلى اقتراح الأستاذ الحكيم بخصوص استلهام القرآن في التجربة الشعرية، أقول : أن القرآن فيه اعجاز في الصياغة العربية والبيانية ولذا فهو معلم للأدباء، في فن الصياغة العربية السليمة، والاستشهاد به في القضايا

اللغوية والنحوية، كما أن فيه من البيان ما يمكن أن يثير تجربة أى مبدع أدبي.

ماذا قال العميد؟

ويؤكد الشاعر سعيد فايد - الذى يكتب الشعر التقليدى والشعر الحديث - أن الشعر العربى التقليدى باق ما بقيت اللغة العربية كأسمى فن من فنونها، ومع العلم بأنه لاصلة للشعر، بالقرآن الكريم من بعيد ولا من قريب، وتحضرنى فى ذلك عبارة لعميد الأدب العربى طه حسين يقول فيها "إن اللغة العربية ثلاثة أقسام: شعر ونثر وقرآن".

أما الشعر الجديد أو الحديث كما كان يسمى فقد عجز أصحابه عن أن يرسخوا أقدامهم فى تربة الثقافة العربية ولا أن يضيفوا جديداً يحسه القارئ العربى كما أحس من قبل عند الأنجلسيين والمهرجيين، بل لقد بدأت مدرستهم فى الانقضاض بعد موت صلاح عبدالصبور وأمل دنقل، وغيرهم.

مرحلة معودمة

ونأتى إلى فصل الختام فى ملف الشعر والشعراء الذى فتحه شيخ المفكرين توفيق الحكيم، وذلك بالحديث مع الناقد الكبير الأستاذ الدكتور عبدالقادر القط الذى يقول :

نحن رحباً بحركة الشعر الجديد لأننا كنا ندرك أنها جاءت وليدة تطور اجتماعي وحضارى كبير ، حدث في المجتمع العربى بعد الحرب الثانية، وأنها لم تكن مفاجأة أو طفرة بل سبقتها تجارب كثيرة في الشكل الشعري منذ بداية الحركة الرومانسية إلى أن بدأت هذه الظاهرة تأخذ شكلها الفنى الجديد.

وقد ساعد على قبول نتائج هذه الحركة أن روادها كانوا متقيين ثقافة واسعة أصيلة بالتراث، وبالتراث الشعري العربى القديم، وكان قد بدأ كثير منهم ابداعهم فى شكل القصيدة العربية التقليدية على مستوى فنى مرموق،

ما يدل على أن هذا التحول لم يكن كما يقال أحياناً عجزاً عن الإبداع في الشكل العربي القديم، وقد مكنته هذه الصلة بالتراث من أن يضمنوا شعرهم الإيقاع الأساسي للشعر العربي وينتفعوا بكثير من صيغه الشعرية.

وحين تطوروا بعد ذلك لم يبعدوا كثيراً عن روح الشعر العربي العام.

أما هذه المرحلة فتعد مرحلة جديدة تماماً في رأيي تكاد تكون معدومة الصلة بالتراث العربي، وضعيفه الصلة بمرحلة رواد الشعر، وأصحابها يعدون أنفسهم حركة شعرية جديدة تماماً يطلقون عليها مصطلحهم المعروف "الحساسية الجديدة"، ولا أدرى لماذا يكون الشعر وحده يتميز بهذا الاتجاه دون سائر الفنون الأخرى، ولذلك فإن الشعر في مرحلته الأخيرة قد ضاقت دائرة متنقيه إلى حد كبير حتى أصبح الشعراء في وادٍ ومحبو الشعر في واد آخر.

طبيعة المتلقى

ولا أعتقد أن هذه الحال التي وصل إليها الشعر الحر تذر بالعودة إلى الشعر التقليدي لأن الشعر مثل أشكال الفن والأدب لا يمكن أن تكون ثابتة على مر العصور، كما أن الشعر التقليدي أو العمودي الجيد منه أصبح نادراً إلى حد كبير، وهذا ما يدفع إلى الإحساس بأن الشعر يكاد ينقرض في حياتنا الفنية إذا استمرت الحال على هذا الوضع، فليس هناك إلا نماذج قليلة جداً من الشعر العمودي، فيها روح المغامرة لطبيعة التجربة واستخدام اللغة ورسم الصورة الشعرية والإيقاع العام، وليس في الشعر الحر في مرحلته الأخيرة ما يغنى متلقى الشعر عن هذا الشعر العمودي الذي يناسب روح العصر، فإذاً كيف السبيل إلى الخلاص مما وصل إليه الشعر الحر؟

إن الخلاص لا يكون بالعودة إلى الشعر التقليدي، ولكن بإعادة الارتباط بالتراث القديم، وإدراك أسرار اللغة العربية وأساليبها، ثم الخروج من هذا التراث، وثمار الأدب العربي الحديث، بمفهوم جديد للشعر يرضي حاجات

المرحلة التي نعيش فيها، ولا يتجاهل طبيعة متنقى الشعر، بدعوى أن التجربة الشعرية تقضى مثل هذا الشكل دون نظر على الإطلاق لطبيعة المتنقى.

كما أن الشكل المسرحي هو الذي يمكن أن يخرج الشعر الحر من هذه الدائرة المغلقة، أو هذا الطريق المسدود الذي يسير فيه، والتي يمكن أن تستغل فيه إمكانات الشعر الحر بكل طاقاته.

طبيعة التجربة العصرية

اما استههام القرآن، فأنا اعتقد أن القرآن هو بمعزز عن الشعر، وأنه إذا كان بعض الشعراء قد انتفعوا ببعض أساليب القرآن، فقد كان هذا في مرحلة تعود إلى عصر إسلامي تأثرت اللغة العربية فيه كلها بروح القرآن، لكن طبيعة التجربة العصرية، وماجد على اللغة من تطور في أساليبها وفي دلالات ألفاظها وفي صورها : يجعل من العسير جداً على الشاعر أن يحتذى أساليب القرآن .

والواقع أن هذه الصورة الطريفة التي يظن الحكيم أنه استهم فيها القرآن هي صورة شعرية ركيكة بعيدة كل البعد عن سورة العadiات، وقد يكون هو نفسه في لحظة ابداعية ظن أنه يستهم الآيات الكريمة، لكن ما أتى به شيء لا علاقة له إطلاقاً بسورة العadiات.

رصد الواقع

وليس هناك ما يسمى بالمعنى في الشعر إنما هناك ما يسميه النقد حاليا بالتجارب الشعرية، والمهم أن تحول التجربة من واقع إلى صورة فنية ناجحة لذلك الواقع بحيث تصبح كما يقال في النقد الجديد كياناً فنياً مستقلاً عن ذلك الواقع الذي نشأت فيه، وليس هناك ما يسمى بالموضوع الشعري أو غير الشعري، إنما هي قدرة الشاعر على تحويل الواقع إلى صورة فنية، وكل موضوع ممكن تحويله لعمل فني ناجح.

والشعر رصد للواقع والحياة من خلال وجdan الشاعر وتصویر
مظاهر الحياة ووأقها من خلال موهبة فطرية أولاً وسيطرة على الشكل
الفنى ولللغة ثانياً، فليس هناك مصباح علاء الدين - كما يقول الحكيم - ولا
كيس جواهر - وإنما هناك حياة وموهبة وثقافة ومراس.

هل يموت؟

ومن المؤكد أن طبيعة الشعر في مرحلته الأخيرة قد صرفت الناس
عن الإقبال عليه ، لطبيعة العصر الذي نعيش فيه، من ناحية الاهتمام في
علمـنا الثالث بالاتجاه العلمي بعد أن أدركـنا فجـأة تـخـلـفـنا في هـذـا المـضـمارـ، ثم
غـلـبـةـ فـنـونـ قـوـيـةـ أـخـرـىـ عـلـىـ الشـعـرـ أـصـبـحـتـ هـىـ فـنـونـ العـصـرـ كـلـرـوـاـبـةـ
وـالـقـصـيـدـةـ وـالـمـسـرـحـيـةـ وـبـخـاصـةـ مـنـ خـلـالـ الـوـسـائـلـ الـإـعـلـامـيـةـ الـحـدـيـثـةـ
كـاـلـإـذـاعـةـ وـالـتـلـيـفـيـزـيـوـنـ، وأـصـبـحـ الإـطـارـ التـمـثـيلـيـ بـوـجـهـ عـامـ هوـ قـالـبـ العـصـرـ
الـآنـ. كـمـ أـنـ تـعـلـيـمـنـاـ العـامـ الـآنـ لـاـيـقـدـمـ إـلـىـ النـشـءـ الـعـرـفـةـ الـدـقـيقـةـ بـالـلـغـةـ
الـعـرـبـيـةـ وـأـسـرـارـهـ، لـإـبـدـاعـ الشـعـرـ وـتـذـوقـهـ.

لذلك تظل الموهبة الشعرية كامنة لا تجد الأداة للتعبير عن نفسها،
ويظل حب الشعر أيضا ميلاً فطرياً لا يجد من الثقافة ما تصقله وتؤهله
للإدراك الوعي والتذوق الصحيح ، لكن الشعر كروح وتعبير عن وجدان
الانسان لا يموت.

* * *

وتعليقـاـ عـلـىـ هـذـهـ مـنـاقـشـاتـ كـتـبـ تـوـفـيقـ الـحـكـيمـ رـدـاـ قـالـ فـيـهـ :

ظموني الشعرا

أثار (*) الشعراء المحدثون ضجة حول ما أبديته من رأى في الشعر الحديث فهاجموني دون أن يحاولوا فهمي. والحقيقة أننى أساندهم ولا أهاجمهم، ولكنهم اندفعوا دون وعي يحملون على حملة شعواء وسأحاول مرة أخرى أن أوضح لهم وجهة نظرى.

حينما تحدثت عن ضرورة أن يبحثوا لهم عن جذور عربية عوضا عن الجذور الأجنبية المتمثلة في اليوت، فقد كنت أقصد أن أعطيهم سندًا من القرآن الذي سبق اليوت بآلاف السنين، وفي القرآن كل المزايا التي تجعله سندًا لشعراء القصيدة الجديدة في قضيتهم، وليس القرآن كمضمون لأن المضمنون إليه لا يمكن الدخول إلى منطقته. أما الشكل فهو الذي أقصد أن يحذوا حذوه خاصة السور المكية التي بها الموسيقى والإيقاع والتحرر من الوزن والقافية.

فموقعى إذن أننى لست معارضًا للتجديد الذى ظهر فى القصيدة العربية بما نتج عنه مايسرى بالشعر الحر، فأنا مع التجديد ولست ضدة ولكن الذى أعارضه هو أن يكون هذا التجديد نابعاً من منابع أجنبية وغريبة خاصة وأن بعض شعراء القصيدة الحرة مثل صلاح عبدالصبور قد اعترفوا بتاثيرهم بالاليوت، لأنهم جاءوا بعده، فيكون من الطبيعي أن تتعكس دعوته للتجديد في القصيدة على اتجاههم إلى التجديد في القصيدة العربية.

ولكن حينما يعترفون بأن الشكل القرآني هو الشكل الذى يستمدون منه تجديدهم فإنهم بذلك يكتسبون أصلالة وعراقة وشرفًا.

لذلك فقد فهمنى شعراء القصيدة الحرة فيما خاطئاً عندما تصوروا أننى أريدهم أن يقلدوا القرآن ، فهذا أبعد ما يكون عن تفكيرى، لقد أردت أن أكون

(*) مجلة الإذاعة ١٥ فبراير ١٩٨٦

محاميا عن الموجة الجديدة من شعراء القصيدة الجديدة ولكن محدث أنهم
 أمسكوا بي وظنوا أنني لست محاميا وإنما أنا متهم.

فما مصلحتى فى أن أهاجمهم، فأنا لست شاعرا تقليديا لأهاجم شعرهم
الحر، ولا أدعى أننى شاعر على أى وجه من الوجوه. وناسقته من مثل
استمدت فيه الشكل من سورة العاديات، ما هو إلا نموذج لتدعيم وجهة نظرى
بشكل التجديد الذى أردت من شعراء القصيدة الجديدة أن يلتمسوا
فيه أصالتهم.

ولكن ماداموا قد رفضوا دفاعي عنهم فماذا يقولون للعقد وهو شاعر
معترف به، لدرجة أنهم كانوا سيختارونه بعد أحمد شوقي، أميرا للشعراء،
هذا بالإضافة إلى أنه كان رئيسا للجنة الشعر، وكانت كل قصيدة من الشعر
الحر تأتى إليه يكتب عليها تأشيرة بتحويلها إلى لجنة النثر.

فهل يجدون جوابا على هذا والعقد شاعر ورئيس للجنة الشعر، لقد
رفضهم العقاد نهائيا.. ولماذا رفضهم؟ يجب أن يسألوا أنفسهم هذا السؤال
ويبحثوا عن إجابته، لأن هذا يطعن في شرعية، أما أنا فلم أطعن في
شرعية، ولم أهاجمهم ولكنني فقط أنبههم إلى أن أمامهم مصدرا جيدا
يستطيعون أن يلتمسوا فيه أصالتهم وجذورهم، خاصة وأنه سبقاليوت الذى
يعترف بعض روادهم أنهم تأثروا به.

أما حكاية أنهم يلتزمون التفعيلة ولا يلتزمون الوزن والقافية - وأن هذا
الالتزام بالتفعيلة هو امتداد للشعر التقليدى، الذى يستمدون منه آصالتهم فهذا
فى حاجة إلى متخصصين يفهمون ويدقون ويراجعون، لأنه ليس كل الناس
يعرفون مسألة التفعيلات الشعرية.

إنما عندما يقولون أنهم ينتسبون إلى الشكل القرآنى، فهذا نسب يشرفهم
لأنه نسب شرعى.

لقد رفضتم المحامي واتهمتموه بأنه ضدكم، وهذا ليس ب صحيح لأننى
في الواقع أدفع عنكم، لأننى أردت أن أقول لكم من أين تأتى الأصلة.
أليس القرآن غير ملتزم بالوزن والقافية، أليس القرآن فيه موسيقى،
أليس القرآن به صور فنية؟

إذن فهو يتفق مع التجديد الذى تريدونه فى الشعر الجديد، فلماذا
تبعدون عنه، وهو أقرب إليكم من اليوت وغيره من الشعراء الغربيين؟!
ولكن مادمتم أنها الشعراء لا تريدون محاميا ولا سنداما يسندكم، مع أن
لكم خصوصا ولكم مدعون انتهزوا فرصة كسر الشكل العمودى للشعر وقالوا
نحن شعراء وهم ليسوا بشعراء، ومادمتم تشعرون أنكم أقوىاء تتفقون على
أقدام صلبة وأرض ثابتة. فأنا لم أخسر شيئا لأننى لست شاعرا وبالتالي ليس
لي مصلحة شخصية.

ولم يغضبني هجومكم ياشعراء القصيدة الحرة لأن هجومكم جاء نتيجة
سوء فهم يبدو أنه غير مقصود، ولكن الذى آلمنى هذه الحساسية التى اندفعت
من خلالها تهاجمون دون رؤية أو محاولة لفهم مقصدى كمحامي وليس
كمهاجم حولتموه إلى متهم.

والحكاية ليست معركة لأننى لست ضدكم ولا ضد الشعراء القدامى،
وإنما أنا معكم ومع التجديد فى حد ذاته، ولكننى أريد أن أصل بالجديد فى
الشعر إلى إيجاد جذور عربية له.

ومادمتم ياشعراء القصيدة الجديدة ترفضون دفاعي، فإنتم أحرار ولكن
كونوا عمليين وابعثوا إلى عبر مجلة الإذاعة والتليفزيون بدواوينكم أو على
الأقل - حتى لا أنقل عليكم - بنموذج من شعركم على أجد فيه مايسرنى.

* * *

المنفعة المفترضة

يقال سأله : «هل ملائكة نعمت أهلاً بغير بالمربيت به إلى المخوازع لذكراً؟» أقول وأصر
هذا يمْلُوك : إن القرآن يتطلب منه حيث لا يكتفى بأدلة ومتكلّم حد» إن إن لمشهد
ظلم ولا يقاضيه ... وهذا الحجّة المتألمة شيع منه هذا التعبير العظيم ... ولم يكتف به فهم
هذا ، إن العالة منه حيث لم يوضع والظفورة ... منها المخوازع والمفترض هو منه هذه المغالط
يدفع بغير مبرر لتفريح في حماقة أو جحادة بأدلة وجهه ... وإنما يجوز فقط لافتراضاته أنه
نه حيث المجزي والشكل بغير ... وهذا يكتفي للناس حسبي ... ولما جاء به لبيانه إلا أدلة ضعيفه
ذلك المفعليه ، وهو ذلك ... منها يكتفي إذا كانه قد نسب بالتفعيل ، فإنه لا يدفع
هذا ... ويفقد صفة المجزي ... وسيكون قد تحرر منه قيد لبقاء شرط سلطاته قيد آخر : (المفعليه)
وبتقديره للنقد المبني الذي يذكر هنا ، المفعليه ... المسوقة والعلمية ... أنا أزيد لبيان المجزي
حيثية المحامدة اقتباس منه حرثي «القرآن» ... وهذا كرتون لضمير ليس ثابره أن المثلث يوحا
في كتاب أخي للردهم ، صاروخ عبد الصبور ، بعضه آياتي قرأتني ثم شع لي ذروه وفتنلاه
يخرج ذاته وأسبابه ... قوله تعالى قد فنه الله أهله هذا يكتفي به ... يذكره في لست أدواته
صاروخه مراجعته ذاته في سنته ... وإنما يوم الحكم سنته وصحته لا يذكر أبداً فهو
يذكر في ابن شقيق ... ولو لم يكتفي في أنه يكتفي للقرآن كلامه فضل في توجيه التصرّف
المجيد ، لما تحرّك ... وهو حسنه يكتفي أن تركت لرفع ظلمه فيه يكتفي المجزي ... قال التصرّف
في حلقات المفعليه لم يكتفي سلطاته ، وأذاته معه بحسب ما يكتفي به لبيانه المدقع
ـ «ابن هيثم ناجي» قصدته في المترتبات للإثبات عقدة ديوان المخوازع ، مدد ورار المقام ...
ـ فما حلّت على قبره ... أنا أبتصر المجزي يوم فعدت الضياع الكاره عليه حربتي ... وإنما يطبع
مع المجزي فهو ويدبي المخوازع بالتبسيط ... وكلمه يكتفي بالفروع التي يستقر فيه
لديكتوره ويقوده أهلاً إلى المفوضة ... ولذلك يكتفي بالحكم واستدلال ضميره إذ وقعت فيه
بعض اغفال منه هذا يكتفي لبيانه فيه فهم : «ابراهيم أبو منه وفاروقه متوجه
وأحمد سويلم ... تمازجت خاتمة تالية منه هذا يكتفي المجزي ... وكما أنه يكتفي به
مسه لبيانه لولى مسامحة لشقر ... وكما أنه يكتفي لبيانه لشقر فإذا انه الراباب الذي يجلو
المترصد قد يجد أهلاً في انتقام منه ... عنه لذهب ...

وها هي هذه النهاية :

مصالحة

وقد اختار الحكيم ثلاثة نماذج لثلاثة من الشعراء البارزين في مجال الشعر الحر ضمنها مقاله الثالثي الذي خص به مجلة الإذاعة والتلفزيون.. وبذلك يكون قد تم الصلح بينه وبينهم^(*).

كتب شيخ المفكرين توفيق الحكيم : لقد أحسن بعض زعماء الشعر الحر البارز اليوم بإرسال بعض نماذج من شعرهم الحر لأنظر فيه وأحكم بناء عليه.. وأنا لسبق اشتغالى بالقضاء ما كان يهمنى كثيرا الإسقاف إلى المرافعات الطويلة للمحامين.. بل كان يكفى شاهد إثبات واحد ليقنعني.. وشاهد الإثبات فى هذه القضية هو شعرهم وحده.. ولو ظلوا يتجادلون بالألفاظ. ويسوقون الحجج والبراهين لما ظفروا بشئ.. ولكننى عندما سمعت شاهد اثباتهم واطلعت على نماذج من شعرهم وضحت أمامى القضية.. بل خرجت منها بالنقطة الفاصلة : ما هو لب الجوهر فى الشعر الحر؟..

ووجته فيما يمكن أن أصفه بكلمة : "عرق الذهب" .

عرق الذهب

نعم.. عندما نذهب لاكتشاف "منجم" ماذا نفعل ؟ إننا نجمع حفنة من التراب أو الحجر أو الحصى ، ونذهب لنحلله، فإذا وجدنا فيه عرق الذهب فإننا نعلن ظافرينا اكتشافنا لمنجم ذهب.. ولا نسأل بعد ذلك عن ضعة ما كان فيه :

هل هو تراب رخيص أو رمل زهيد أو طمى قذر أورخام ناعم؟ أما الشعر التقليدي العمودي فالذى يبهرنا فيه ونفحصه، هو المحتوى : هذا الرخام المصقول وهذا الرمل البراق، وهذا الطين اللامع.. وغير ذلك من الأوصاف والألفاظ المؤثرة بالإيقاع فى الأسماع الخاطفة للأبصار.. ولذلك

(*) ٥ يوليو ١٩٨٦ (مجلة الإذاعة).

يكفى أن نسمع بيت شعر عمودى منظوم حتى نصيح : الله .. أعد .. أعد"
 فهو قد خاطب الحواس وظفر بها .. وهذا مالا يوجد عادة فى الشعر الحر ..
 وهذا ما يأخذه عليه البسطاء .. لأنك لا تستطيع فيه أن تقول "الله .. أعد".

إنه يقرأ ولا يسمع ليؤثر بالسمع، بل يكتشف بالتحليل المتأني كما
يكتشف عرق الذهب المختلط بالتربا ..

لذلك كثُر فيه مع الأسف الكاذبون والدجالون والمقلدون الذين يقدمون
لك أكواخ التراب والحصى ولا ذهب هناك .. ولكن الشعر الحر الحقيقي عندما
تكتشف فيه عرق الذهب المخفى فيه فإنك تفرح للاكتشاف، وتبقى لذة
الاكتشاف مستمرة، لأنها ليست خاطفة، وتشعر المكتشف باحترامه لنفسه لأنه
اكتشف من بين التراب ذهبا.. وهذا فضل الشعر الحر، وصعبته أيضا لأن
قيمة في ذاته .. لأنه لا يعتمد على ما يخطف به الأ بصار ويستدر به
التصفيق والهتاف .. فهو لا يحتاج منك أن تصفق له بل أن تكتشفه .. ولذلك
إذا أردت الدفاع عن شعراء الشعر الحر الموهوبين الذين اتهموا بأنهم
حطموا القيود عجزا واستسهاوا.. فإنى أقول :

العكس هو الصحيح، فهم قد حطموا القيود كما يحطم الفارس الشجاع
درعه، وينزل إلى الحلبة عاريا ليس معه سوى قوته الذاتية الحرة وحدها.

النموذج القرآنى

قد يسأل سائل : ولماذا نصحت أصحاب الشعر الحر بالانساب إلى
النموذج القرآنى ؟

أقول وأصر على هذا القول : إن القرآن يتميز من حيث الشكل بأنه
"شكل حر" أي أنه لا يقيد بنظم ولا بقافية .. وهذه الحرية التامة نبع منها هذا
التعبير العظيم .. ولم يكن قصدى كما فهم خطأ، أنه المحاكاة من حيث
الموضوع والمضمون .. لأن الموضوع والمضمون هو من عند الله تعالى
ولا يصح مجرد التفكير في محاكاته أو مجاراته بأى وجه من الوجوه.. وإنما

يجوز فقط الانساب إليه من حيث الحرية والشكل الحر .. وهذا يكفي للتأصيل .. ولا حاجة إلى الالتجاء إلى أدلة ضمنية مثل التفعيلة، ونحو ذلك.

لأن الشعر الحر إذا قيد نفسه بالتفعيلة فإنه لا يصبح حرًا.. وي فقد صفة الحرية.. ويكون قد تحرر من قيد ليقع تحت سلطان قيد آخر. "التفعيلة" .. وي تعرض للنقد السطحي الذي يركز على "التفعيلة" المكسورة والصحيحة، أنا أريد للشعر الحر حريته الكاملة اقتباساً من حرية القرآن.. وذاكرتى الضعيفة اليوم تخيل لي أنى لمحت يوماً فى كتاب آخر للمرحوم "صلاح عبد الصبور" بعض آيات قرآنية لم تسمح لي ظروفى وقتذاك بتحري ذلك وأسبابه، فهل تراه قد فطن إلى أهمية هذا الشكل الحر في القرآن؟ لست أدرى.. وأرجو مراجعة ذلك في كتبه.. وأنا اليوم بحكم سنى وصحتى لا يمكن أن أبذل مجهوداً يذكر في أي شئ.. ولو لا رغبتي في أن يكون للقرآن الكريم فضل في توجيه الشعر الحر الجديد، لما تحركت..

ومن حسن الحظ أنى تحركت لرفع ظلم عن الشعر الحر الجيد.. فالشعر كله في حياتي الأدبية لم يكن من اهتمامي، وأنذرت مع الأسف أن الصديق الشاعر الرقيق "إبراهيم ناجي" قد صدى في الثلاثينات لأكتب له مقدمة ديوانه الأول "من وراء الغمام"، فأحلته على غيري.

.. أما الشعر الحر اليوم فقد سمعت الضجيج الآن عن حريته.. وأنا بطبعي مع الحرية في الفن والأدب لأنها من باب التجديد.. ولكن الباب المفتوح يغرى بالدخول لمن يستحق ومن لا يستحق ويؤدي أحياناً إلى الفوضى.. ولذلك استرحت الآن واستراح ضميري إذ وقعت بين يدي أعمال من هذا الشعر لثلاثة من البارزين فيه.. هم "إبراهيم أبوسنة" وفاروق شوشة وأحمد سويلم.. فاخترت نماذج قليلة من هذا الشعر الحر الحقيقي.. وكان يودى أن أكثر من الاختيار لولا مساحة النشر.. ولكن ذلك يكفى لإقناعنا أن التراب الذى يملأ الأرض قد نجد أحياناً في القليل منه "عرق الذهب" .. وهو هو ذى النماذج..

ق

نموذج لفاروق شوشة :

هذا أنا

وفي نهاية الطريق أنت

واحة شهية، سحابة سخية تمر

أدمنت ظلها ولا مفر

تسألني عيناك عن نهاية الطريق

أحار .. لا أجيب

يجلدني سؤالك الصموم ألف مرة

ويخرس الكلام في فمي

ويبدأ الحريق في دمي

ولا أجيب

وتحتجل لحظة اللقاء غصة وبعض بوح

لكنه السؤال في عينيك ما يزال، والحريق

لا أطيق

وانطفأ السؤال

فليس من بداية ولأنهاية

لرحلة تدور في المحال

ترى يوجد العمر مرة بلحظة اكمال

فتسقط الحدود والسدود من طريقنا المرصود

وتسقط الأقنعة التي تعافها الوجوه والجلود

وتستريح بيننا العيون من فجاءة الززال.

هذا أنا

في نهاية الطريق .. أنت

الآخرون بيننا.

يتملكنى محрабى

ونموج آخر لأحمد سويلم :

اننى الآن أرقب خطوك :

أجريت عينى في فالك الشمس

عيناً سابحتان مع الضوء

في عربات السماء

أحدث عنك النجوم.

أكلم عنك الرياح

أمهد في الصحراء

- أعددت من زمن كل شيء

في الصباح .. ينقر فوق نوافذك الطير

يغمرك الظل عند الظهيرة

في الليل ..

تجتمع النجمات البعيدة فوق فراشك

- أعددت من زمن طرق الحلم -

صوتوك سنبلة - صار - بين ضفاف الجداول

وجهك أسطورة - صار - بين التواريخ.

بين البحار .. وبين المدائن

- اطوى اجنحتى عند الأسوار

جئت اعائق ضوءاً شفقياً ..

يتناظر من شبابك ..

يتملكنى محرابى ..

هذا صلواتى - أولد فيها ..

أنثر في اعتابك أشواقى .. في دفء الليل.

- ذهبي وقتك .. ممدود وقتي

هذا عمرى الأول والآخر ..

هذا قلبي عصفور منفى ..
هذا مزمارى - أطواق نجاتى -
انقدم .. ملکوتک فى عينى ..
من أجلك اختصر العالم ..
أصل نهارى بنهارك ..
لانقهرنى الظلمة فى أعمدة النسيان

يسلمان فى الكهوف

وهذا نموذج اخير لإبراهيم أبوسنة :

سألتى فى الليل الأشجار
أن نقى أنفسنا فى التيار
أن نتجه إلى النهر القادم
.. من أعماق اليأس إلى أقصى المجهول
نحمله فى ذاكرة محكمة الإغلاق
ثم نفر من الغول

ويقول :

سألتى أن اختار
مبين الجنة والنار
قلت أحاور قلبى :

- ما معنى الجنة يا قلبى ؟

- قال : تجول فى نفسك حتى تصل إلى الإنسان
وتجول فى الإنسان إلى أن تصل إلى وطنك
وتجول فى وطنك حتى تصل إلى الله

- قلت : وما معنى النار ؟

قال : خواء الأشياء من المعنى
أن تصبح شيئا كالأشياء
يشرى وبياع

أن تتصاعد إلى مالا يدخلك إلى ذاتك
ان تسكنك الأشياء الباردة القاع

ويقول :

عيناك طائران ليليان
توقفا على القمر
من بعد رحلة طويلة السفر
مراوغان كالقدر
تفتحت في الغور منها العصور والفنون
يستسلمان في الكهوف يصخوان في المطر.
مسلحان بالجمال والألم

* * *

و هذه المعركة الشعرية التي خاضها الحكيم و حرصنا على إعادة نشرها كما جرت و قائلها، تدل دلالة قاطعة على علو مكانة الشعر عند الحكيم - خاصة الحديث منه - حيث أراد أن يجعل له أصلاً عربياً قرآنياً، كما جعل للتمثيلية الأدبية العربية التي أسسها في الأدب العربي ذلك الأصل حين استلهم رائعته "أهل الكهف" من سورة قرآنية.

رسالة الشعر عند توفيق الحكيم

تأسيسًا على ما سبق يمكن القول إن الشعر يحتل عند الحكيم مكانة متميزة بالقياس إلى نظريته الأدبية وإلى رؤياه الإبداعية ومكانة الأنواع الأدبية فيها^(١).

فرغم أنه كاتبًا مسرحيًا في المقام الأول إلا أنه يرى الشعر يحتل المكانة الأولى بين الأنواع الأدبية فيقول صراحة "أعترف بأن أعظم الأعمال الفنية في الأدب هي الشعر أولاً. والمسرحية ثانياً"^(٢) لأن الشعر بتعبيره هو

(١) الحكيم ونظرية الشعر - مقال د. عبدالعزيز شرف في الكتاب التذكاري "توفيق الحكيم - الأديب. المفكر الإنسان" عن وزارة الثقافة - المركز القومي للآداب ١٩٨٨.

(٢) المصدر السابق.

"معجزة فنية، لأن آلاف الأفكار والصور والأخيلة والمشاعر يجمعها الشاعر في سطر واحد، هذا السطر العجيب الذي تراه ينتفض، وأنت تقرؤه، بهذه الآلاف من الأفكار والمشاعر والصور.. إن بيت الشعر يشبه طاقة مسحورة صغيرة، تطل منها النفس، على الوجود البشري بتجاربها وأفراحها ومعانٍها"^(١).

أو كما يقول أيضاً إن الشعر هو "فن إيجاز وإيحاء" وهو "خلاصة الثقافة وعصرة الذوق"^(٢). لذلك يرى الحكيم أنه "ما من فن عظيم بغير شعر أى بغير تلك المادة السحرية التي تجعل الناس يدركون بالأثر الفنى ما لا يدركون بحواسهم وملكاتهم"^(٣). ولهذا يعتبر الشعر عند الحكيم هو أبو الفنون.

هذه هي قيمة الشعر عند توفيق الحكيم ، ولكن ما هو مفهومه لطبيعة الشعر؟

إنه يراه "خارجاً على الطبيعة.. وهل الشعر بنظمه وقوافيه وأوزانه الموسيقية - إلا من الفنون الخارجة على الطبيعة.. ومادام هو كذلك فيجب أن يؤدي متسقاً لا مع الطبيعة، ولكن مع غيره من الفنون التي تتصل بها "التراجيديا"^(٤).

ولكن الحكيم يرى أيضاً أن الشاعر لا ينفصل تماماً عن الطبيعة لأن "قلب الشاعر مقياس حرارة يتتأثر أحياناً بمظاهر الطبيعة فيبكي لبكائها، دون سبب آخر يدعوه إلى البكاء"^(٥).

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) "زهرة العمر" لتوفيق الحكيم.

(٤) نفسه .

(٥) المصدر السابق.

بل إن الحكيم يذهب في فهمه للشعر إلى ما هو أبعد من مجرد الخروج على الطبيعة فيرى الشعر جنونا محببا له قصر يليق بجماله وعظمته فيقول "إذا جن الإنسان دخل مستشفى المجاذيب، وإذا جنت الكلمات والمعانى دخلت قصر الشعر" (١). لأن رسالة الشعر "تبغ من الحرية دائمًا لتبشر بالحرية" (٢)

إذن ما هي مهمة الشعر عند توفيق الحكيم؟

إنها مهمة سامية رفيعة كشأن الشعر نفسه بعلو قيمته وارتفاع قامته على كل فنون الأدب إذا كان شعرا حقا لأنه كما يقول الحكيم "ليس كل شعر فنا عاليا، لأنه يعظ أو يصور أو يرثى" فالشعر الحق هو شئ أبعد كثيراً من مجرد إصابة الأهداف الظاهرة، أو تحقق الأغراض المباشرة، بل ربما انحط شعر في عرف الفن العالى، لأنه اقتصر على صياغة حكمة أو تصوير منظر أو إحداث جرس.. إنما الشعر الحق قد يتوصل بهذه الأشياء لبلوغ مأرب أسمى : هو الارتفاع بالناس إلى سحب لا تبلغ، والرحيل بهم إلى عوالم لا تنتظر. هو أن يريهم من خلال كلماته البسيطة ووسائله البادية أشياء لم تكن بادية ولا طافية، في محيط ضمائرهم الواقعية. هو بالاختصار ذلك السحر الذي يوسع ذاتيه الناس، فيرون أبعد مما ترى عيونهم، ويسمعون أكثر مما تسمع آذانهم ، ويعون أعمق مما تعي عقولهم" (٣) . أو كما يعبر الحكيم بمعنى آخر حين يشبه رسالة الشاعر برسالة القمر "كلاهما يعطينا شيئاً ممزوجاً بطبيعته، مخلوطاً بخصائصه" فالسؤال الذي يلقى على الشعر هو السؤال عينه الذي يطرح على القمر : ما الذي تقصد إليه من إعطائنا هذا الضوء المذهب الجميل؟

أما القمر فيجيب :

(١) توفيق الحكيم بين الفكر والفن - الناشر الوطن العربي - بدون تاريخ

(٢) الحكيم ونظرية الشعر

(٣) "زهرة العمر" لـ توفيق الحكيم.

لست أقصد بهذا الضوء أن أريكم واقع الأشياء، فإنكم ترون هذا الواقع مثلاً واضحاً في وهج النهار، ولكنني أريد أن أثير لكم الأشياء في رداء جديد من نور وظلال، لأوقظ فيكم روح الوجود، وجوهر الكائنات، وأثير في آذانكم عوالم أخرى أجمل وأكمل من العالم الموجود وأجعلكم ترون في ضوئي شيئاً آخر غير الذي ترون في ضوء الشمس فتحيون بذلك حياتين، فيزداد وجودكم بذلك اتساعاً.

ويجيب الشعر بمثل ذلك قائلاً :

أنا أيضاً لست أقصد أن أريكم واقع الأشياء في حقيقتها المادية، فهذا من شأن العلم، وما يجري مجرى العلم من تاريخ وبحوث وتحقيق وإحصاء، وتسجيل! ولكنني أريد بضوئي أن طرق أبواب تفكيركم، ومشاعركم، وأنتم فيكم ملكة التخيل والتأمل، وأجعلكم أنا أيضاً تحيون حياتين : حياة الواقع الأرضي، وحياة الفكر العلوى^(١).

ورغم مخاوف الحكيم على مستقبل الشعر من سطوة العلم وضعف الثقافة إلا أنه كان يؤكد "أن علمنا بحقيقة القمر، لن يمنعنا من حب ضوئه الشاحب، ولن يمنعه من التأثير في نفوسنا الشاعرة!". مادامت هناك نفس، مستقلة عن الرأس.. فلا خوف على الشعر من العلم"^(٢).

أو كما يقول "إن متابعتي للشعراء في السنوات الأخيرة، أكدت لي أن "العلم" لم يستطع هدم "الشعر".." فالحقيقة الفنية والحقيقة الدينية قبلها تستطيعان الحياة على الرغم من ظهور الحقيقة العلمية"^(٣).

واهتمام الحكيم بالشعر وبمستقبله جعله يدخله ضمن نظريته في الأدب والحياة وهي "التعادلية" التي تقوم في "الأدب والفن على أساس قوتين يجب

(١) "عن الأدب" ل توفيق الحكيم.

(٢) السابق

(٣) من مقدمة توفيق الحكيم لديوان د. عبدالعزيز شرف "حب أو لا حب" مكتبة مصر ١٩٨٧.

أن تتعادلا هما قوة التعبير وقوة التفسير^(١). لاغنى لأحدهما عن الآخر لأن التعبير وحده على علو قيمته الأدبية والفنية، قد يحبس أهداف الأدب والشعر في نطاق التهذيب الروحي والإمتاع النفسي، ومهما يكن نبل هذه الأهداف وكفاليتها، فإن المطلوب من الأديب أو الشاعر - خصوصاً في العصر الحديث، أن تمتد رسالته إلى أبعد من هذا النطاق.. المطلوب منه "أن يهذب ويمنع، ثم يلقى في نفس الوقت ضوءاً كاسحاً موجهاً في طريق الإنسانية، فالأدب أو الفن يجب أن يكون معبراً ومفسراً : أي أن تتعادل قوى التعبير وقوى التفسير في الأثر الأدبي أو الشعري"^(٢).

"العبارة كما يقول الحكيم - يشتمل الأسلوب والموضوع.. الشكل والمضمون، وبه يمكن أن يتم الأثر الأدبي أو الفني في ذاته.. أما التفسير، فهو - كما يقول الرسالة التي يحملها الأثر الأدبي أو الفني بعثة للبشرية ليقول فيها كلمته عن وضع الإنسان في كونه وفي مجتمعه"^(٣).

رسالة الشعر لها أهميتها الكبرى سواء في الشعر القديم أو الحديث فهو يرى في البحثي معبراً، وفي أبي العلاء معبراً ومفسراً لرأيه في وضع الإنسان ومصيره، "ويصرح الحكيم في، أدب الحياة، أنه ليس "ممن يتمسكون بعمود الشعر القديم وأوزانه وقوافيه بغیر جدال ومناقشة" يقول : أنا مستعد دائماً للإصغاء إلى كل رأي جديد. وليس كل شعر يدبح على الطريقة القديمة يعجبني" فالمسألة ليست مجرد امتلاك لقاموس عربي يجيد صاحبه القوافي والأوزان، أو كما يقول الحكيم "ليس بشاعر حق ذلك الذي يقدم الصخرة ولايفجرها حياة ، وليس بشاعر حق ذلك الذي يعرف من نهر النثر كلام ما ككل كلام"^(٤).

(١) نفسه.

(٢) الحكيم ونظرية الشعر

(٣) السابق.

(٤) السابق.

"ويدفع به مذهبه التعادلى إلى أن يكتب "تحذيرا للشعر الجديد" يقول فيه قد يظن بعضهم أنك إذا أردت أن تكون شاعراً جديداً فما عليك إلا أن تأتى بموضوع مما تتناوله الصحف اليومية وتكتبه نثراً، ثم تقسمه إلى جمل مختلفة في الطول والقصر، وتضع كل جملة في سطر، ولا يأس من أن يكون في السطر كلمة واحدة أحياناً أو كلمتان، وحبداً لو كان بين السطر والسطر سجعة أو سجعتان، ليقع من ذلك في الأذن ما يشبه الدوى أو النغم. كلا. ليس هذا إلا الشعر الجديد الكاذب، لا الشعر الحقيقي. إن الشعر الجديد الحقيقي يعجبني شخصياً وإنى أرى أصحابه مجدهم حقاً وحتى وإن حطموا كل القيود القديمة ذلك لأنهم شعراً. شعراً بالهبة على الرغم من كل شيء"^(١)

* * *

المفاجأة

نصل الآن إلى المفاجأة التي تأتى في سياقها الطبيعي وهي هذا الديوان الذي كتبه توفيق الحكيم مؤكداً في تقديمه أن "هذه الطبعة خاصة ومحدودة تماماً وكلية للأصدقاء" هم بالطبع الأصدقاء الذين يثق توفيق الحكيم تماماً أنهم لن يبحوا بسر هذا الديوان المجهول.

ولكن لماذا فعل توفيق الحكيم ذلك؟ ولماذا لم يجرؤ كعادته في الجرأة والشجاعة أن يعلن ما يعتقد أنه صحيح ويؤمن به؟

هل لأنه خشى من الهجوم عليه باعتباره دخيلاً على الشعر والشعراء فاكتفى بكتابة المقدمات لشعراء كما فعل مع "فاروق جويدة"، و"عبدالعزيز شرف"

وخوض المعارك مع الشعراء، فقط؟ ولكن منذ متى كان الحكيم يخشى المعارك والهجوم عليه إذا كان يعتقد أنه شاعر بالفعل، أم أنه كان سيئ الظن بنفسه في هذا المجال فعبر عن نفسه بالفرنسية وفي طبعة خاصة ومحدودة تماماً لخاصة الأصدقاء؟

(١) السابق.

تبقى الأسئلة مطروحة وتنقى الإجابات مفتوحة بغير تحديد للإجابات الصحيحة وإن كنا نحاول أن نتعرف من النقاد والمتخصصين على أقربها للصحة والإقناع، غير أنه لاشك في أن ظهور أشعار مجهلة ل توفيق الحكيم مسألة تستحق البحث وإعادة النظر في الكشف عن جانب جديد من جوانب توفيق الحكيم الإبداعية إذا كانت تستحق التوقف عندها.

والملاحظ في هذا "الديوان" إذا اعتبرناه ديواناً أن أغلب مقطوعاته قد نقلها الحكيم بنصوصها العربية - التي سبق نشرها في كتابه "رحلة الربيع والخريف" ١٩٦٤ - إلى الفرنسية في سنة ١٩٨١. ومن المدهش أننا سوف نجد في الصفحات التي حرص الحكيم على تقديمها في بداية الكتاب المذكور تحت عنوان "كتب للمؤلف" نشرت باللغة العربية" يذكر أمامه حين يأتي بيان "رحلة الربيع والخريف" بين فوسفين على أنه "شعر".

وقد حرصنا على تقديم النص الفرنسي في نهاية النص العربي حتى تلك النصوص التي سبق للحكيم نشرها بالعربية مع الإشارة إلى ذلك، حيث يكتسب تحويلها إلى الفرنسية بعداً جديداً في الدلالة على حرص الحكيم على تأكيد رياضته خاصة وأنه لم يضع عنواناً لـديوانه مكتفياً بوضعه تحت عنوان "قصائد عربية" وهو أكثر إيحاء ودلالة على أن الحكيم كانت لديه القناعة أن ما كتبه كان تعبيراً عن هذا الشعر العربي ونمونجا يستحق أن ينثنيب عنه، وإن لم يعلن عن ذلك بوسائله الدعائية المعروفة عنه نشرأ وترويجاً وتاكيداً لسيقه وريادته وإن لم يغب عنه أنه حين ينتقل إلى عالم الخلود لن يبق السر سراً وإن تظاهر بذلك حين جعل "هذه الطبعة خاصة ومحدودة تماماً وكلية للأصدقاء" لأنه يعلم جيداً أن السر لن يكون سراً طالما انتقل من صاحبه إلى غيره من الأصدقاء.

ومن بين واحد وثلاثين نصاً هي عدد نصوص الكتاب أو الـديوان، سمه ما شئت، نقل توفيق الحكيم واحداً وعشرين نصاً عربياً إلى الفرنسية من كتابه "رحلة الربيع والخريف" ليصبح الجديد الذي أضافه عشرة

نصوص، فهل هذه النصوص المضافة كانت لدية ضمن النصوص القديمة التي كتبها فيما بين ١٩٢٦، ١٩٢٧ كما ذكر في كتابه "رحلة الربيع والخريف" وهي النصوص التي ذكر أنه مزق كثيراً منها، أم أنها نصوص جديدة كتبها حين أراد أن يطبع كتابه أو ديوانه بالفرنسية؟ غير أن الأكثر جدراً بالاهتمام في هذا الاكتشاف الأدبي المثير هو ما الذي أراد أن يقوله الحكيم؟

إن قراءة هذا الكتاب أو هذا الديوان تحمل لنا حكمة الحكيم وخلاصة تجارب السنين ومحاولته إشاعة البحث والتأكد على القيم الإنسانية النبيلة كالحب والعدالة والخير والسلام والحرية والإيمان، وهي قيم تسرى في أعمال الحكيم وإبداعاته.

* * *

ثمة مفاجأة أخرى غير الديوان المجهول المطبوع المنشور بالفرنسية لـ توفيق الحكيم، وهي قصيدة بعنوان "مجنون الأميرة الفرعونية" كتبها الحكيم تحت اسم "شعر منثور قديم لـ توفيق الحكيم"، مؤرخاً إياها سنة ١٩٢٦، أما مكانه ففي باريس حين تأثر هناك بالفن الحديث كما أشرنا من قبل فشرع في كتابة بعض قصائد شعرية نثرية منها هذه القصيدة "مجنون الأميرة الفرعونية"، التي نقلها عن النص المخطوط بقلم توفيق الحكيم بالقلم الرصاص الذي اعتاد الكتابة به فيأغلب كتاباته، على ورق متوسط الحجم يميل إلى الأصفرار، وقد جعلنا مكان هذه القصيدة الشعرية المنثورة بعد نهاية النص العربي "قصائد عربية" لـ توفيق الحكيم، أثبتتها كما هي بخط يده.

ويبقى حق الشكر واجباً لكل من شارك في الترجمة من الفرنسية إلى العربية منذ الإضاءة الأولى لهذه النصوص التي قامت بها الزميلة الصحفية "تيرمين البحر" حتى أعطتها ملامحها المعقولة الأستاذة "شوة الأزهرى" المترجمة بجامعة الدول العربية، إلى أن تحملت المسئولية كاملة الدكتورة

كاميليا صبى مدرس الأدب والترجمة بقسم اللغة الفرنسية بكلية الألسن باعتبارها المسئول الأول عن ترجمة العشرة نصوص من الفرنسية إلى العربية مسئولية أدبية ومعنوية فلها منى خالص الشكر والتقدير فلولاها كمترجمة، ولو لا الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودي الذي أسعفني بالناشر فى زمن خيالى - فله منى كل الحب - لمرت الذكرى المئوية لتوفيق الحكيم دون أن يكون هذا الكتاب أو هذا الكشف الأدبى بين أيدي قراء العربية فى توقيته الذى حرصنا عليه تحية ووفاء لذكرى الرائد الكبير .



الخلاص (*)

من جوف الليل
علا صوت امرأة
مناجيا السماء
" يا الله .. يا من له الخلود
باسم حبك الذى وهبتنى
اغفر لى ".
قلت لها:
" يا امرأة أضلها الكرب
أنقلها الاضطراب
بل ابتلهى وصلى
باسم حبى لك
قالت:

لا ، لاتحسبها أعظم وأبدع المعجزات
فإن يسبغ على العلى القدير
يغمرنى أنا
أضل ، أحقر خلقه
بحبه الخالص العظيم
ذلك هى المعجزة

(*) ترجمة د. كاميليا صبحى والنصوص التى تليه حتى نص "عدالة"

== (٢) ==

قبران
توأمان ، جميلان
منعزلان في البداء
كممامتين
شردهما إعصار
أوى إليهما عاشقان
أنقلت التعasseة حياتهما
ثم كانت المعجزة
انبتقت
من جوف القبرين
التوأميين الجميلين
شجرتان ، مورقتان
تشابكتا
تعانقتا
بأوراقهما
حتى بدت
وكلأنها القبلات
ويقولون
أبدا.. مذ عرف الحب
قلب الانسان
ما نمت مثل هذه الأشجار
في مثل هذا المكان..

بطنان
أنثى وذكر
يمضيان أيامهما
بكل جمالها.. وقصرها
في عشه .
حتى كان صباح
امتدت يد قاسية.. لاهية
ال نقطت الذكر
ذبحته
على مرأى من أنثاء
اهتاجت الأنثى
وبضربة جناح
أفلتت
ارتمت
فى الدم المراق
دم ذكرها المذبوح
ثم
فاضت روحها..

== كرم ==

شمس غاربة
في أفق بنفسجي
سألت جبل المقطم
كيف صرت أقرع هكذا
إلى هذا الحد .

أجاب : "ذات يوم
كنت أكثر الجبال خصراً

وارفة ظلائى
بالأشجار ، بالأزهار
حتى كانت ليلة
سمح فيها الإله
لموسى

أن يطلع على محياته
من فوق أحد الجبال
احتاجت باقى الجبال
كمدا .. حسدا

"باستثناء " الجليل "

جبل صغير
أظهر تواضعاً
أثر الاستكانة
فانتشرت زينته كلها
بخضرتها الوارفة ، بورودها
على واديه ..

فجاء أمر الله للجبال
أن أقرضيه ما يكسوه
فمنحته أنا " المقطم "
كل ما كان يعينني
على التزيين ، والكساء
حتى .. أصبحت عارياً.

== رحلة بين الكواكب ==

أنت يامن تحلقين

العزيزة أرضنا

أمنا. أرضنا

بعيدا عن ديارنا، حمامنا، أفقنا

فإن تجاوزنا مرّة

حدودنا، قانوننا

ستفنين

أو تعيشين

تضورين جوعا

أو تشهدين

ماضياً ينتهي

==== رحمة =====

فی البدء كان الخلق
خلق الله الريشه
خلقها من نور أبيض
من لؤلؤة نادره
كشحور أبيض
لؤلؤة ضخمة
طولها ما بين السماء والأرض
عرضها ما بين المشرق والمغرب
خلقها .. نظر إليها
فإذا بها تتشطر من نظرة جليلة
ليس فيها شيء من كبر
وانساب المداد
من جسدها المنفطر
وسيظل ينساب
ليوم الحساب
أمرها الله
أن "اكتبى"
فلم تدر أى شيء هى كاتبة
قال: "اكتبى معرفتى" ولકائنات الأرض
زيدى :
إن "رحمتى سبقت غضبى"

الألوان

بالنسبة للإنسان

الحصان ، حصان

أحمر، أبيض ، أسود

أيا كان

بالنسبة للإنسان

الزهر ، زهر

أصفر ، بنفسجي ، أسود

أيا كان

بالنسبة للإنسان

الإنسان ليس إنسانا

إن لم يكن

من نفس اللون

== الإِنْسَانُ الْأَوَّلُ .. يُقْتَلُ ==

حينما قتل قابيل

هابيل

ارتجت

الارض البكر الجميله

فكان أول زلزالها

والشمس

اللامعة كما الألماس

انخسفت

ونبتت

شوكة في الزهرة

وبعد أن كانت

مياه البحر عذبة

أصبحت مره

== القمر الآخر ==

على متن صاروخ ..
انطلقنا
صوب قمر ساطع ..
مخربنا الغيم
عبرنا البحر المائج ..
وما كنا نعرف
أن ثمة قمرا آخر
أبهى وأجمل
في انتظار أن يكتشف
قمر ..
لا هو فوق رؤوسنا ..
ولا هو بكوكب
يتقل بمخاطره نفوسنا ..
ولكن، أي صاروخ
يقلنا إلى هذا القمر ..
لا أحد يعلم ..
لا أحد يفكر
في اتخاذ خطوة
نحو هذا القمر النبيل
الذى يتلألأ كالماض
بناجينا ، ينادينا
فلا يجد غير الصدود
والصعود
لرحلة خيالية
فيقول لنا بمرارة :
أليصروني إليها البشر البائس
أنا أقرب إليكم، أفع لكم
عليكم أولاً ببناء صاروخ
مسحور كما في حواديت الساحرات
ليحملكم إلى
أنا وأسمى: السلام

فُرْةٌ

حينما أراد الله ..
أن يهب الإنسان النار
أمر جبريل
ملك السماء ..
أن اهبط إلى الجحيم
فسل حارسها
بعضا منها
فلما أتاه جبريل سأله الحارس
"أى قدر تريده، ولأى سبب"
فأجاب : "حجم تقاحة .. فيه للإنسان كفاية"
قال الحارس : "أيها الملك الطيب ..
أو تدري
أن ناراً بهذا الحجم
تحيل السموات السبع والبحار
رماداً؟!"
لتكن إذن بحجم "جوزة"
فجاء صوت الحارس متمهلاً، متحيراً :
"نار من جحيمي بقدر "جوزة"
تبعد الماء في السماء
تجذب الزرع في الأرض"
أيا حارس الجحيم الأعظم،
أى قدر مناسب إذن؟
أجاب الحارس : "إن أردت خدمة الإنسان
دون أن يحال إلى رماد
فخذ مثقال ذرة
بالكاد.

موت

قال ملكُ الموت :

لَوْ أَنْ مِيَاهَ الْأَهَارَ وَالْبَحَارَ
سَكَبَتْ فَوْقَ كَفَى
لَمَا تَخْطَطْتَ قَطْرَةً وَاحِدَةً ..

حَدُودَ جَسْدِي
فَالْأَرْضُ كُلُّهَا تَبَدُّو فِي كَفِي
قَطْعَةٌ نَقْوَدُ مَعْدِنِيَّةً،
مَائِدَةٌ حَافَّةٌ بِطَعَامٍ ..

مُعَدُّ لِعَشَائِيَّ.
ذَاتِ مَسَاءٍ ..

سَيَكُونُ عَلَيْهِ إِغْنَاءُ الْبَحُورِ
فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا ، يَقُولُ :

"حَانَتِ السَّاعَةُ"
فَتَسْجِدِيهِ قَاتِلَةً :
أَيَا مَلِكُ الْمَوْتِ
أَلَا انتَظِرْ ..

أَلَا تَسْمَحُ لَنَا بِلَحْظَةٍ
نَسْكُ فِيهَا الدَّمْعِ

عَلَى أَمْوَاجِنَا - زَبَدِنَا لَآتَنَا - كَنُوزِنَا ؟

فَتَنْطَلِقُ صِيحَتِهِ الرَّهِيْبَةُ
لِتَنْزُوِ الْبَحَارَ وَالْمَحَيَّـاتِ
يَضْمِنُهَا الْعَدْمُ
فَيَنْظُرُ لِلْجَيْـالَ : قَائِلًا :
"حَانَتِ السَّاعَةُ"

فتسأله الجبال لحظات تبكي
صلابتها، شموخها
ولكنها، ستغدو مع صيتها
بوديأنها، بقمعها ..
كفقاعات صابون
فيحين دور الأرض
فتظل تبكي، تتنحّب
عند سماعها
"حانة الساعة"

تقول .. "أين ملوكى، شرائعى
حضاراتى، مجدى، علمى، تاريخى؟"
و قبل أن يطلق الملك القاسى
صيتها المدوية ..
ليغنىها

سيواسيها، يهمس لها
كما تهمس فى الأذن
بصوت عذب و واضح النبرات :
"ستفين

ولتكن اكتشفت أكبر معجزتين
لايساور أى كوكب آخر
مجرد شك فى وجودهما
إنها
"الحب .. والأمل "

== عدالة ==

في دنيا النمل
راحوا يشربون، يرقصون
يحتفلون بالنصر
القى خطيب كلمته على الملا
مذكراً بيوم ..
تغلب النمل على عقبة
فكانـت معجزة
خرجا من كل صوب ومكان
في جيش منظم البنيان ..
لعبور جدول ماء
على زوارق من الورق الميت
قال لإخوانه :
"أترون مكمن عظمتنا
الذى ينقذنا من كل هاوية
إنه النظام
فضحـك أحد الفلسفـة هازـأـ :
"كـى تكون عظيـماـ، لـابـدـ أن تكون عـالـياـ
ولـكـنـناـ فـىـ غـيـاـهـبـ الـأـرـضـ،
لـأـنـرـىـ سـوـىـ الـظـلـمـةـ

فلننظر لأعلى ..
ثمة عالم من ضياء
عالم العصافير
تعيش حررة طيبة

حينما تردد لفظ الحرية على هذه الأرض
كان صدأه مدوياً

وراحت كائنات الظلمات تقول :
لماذا نحن محرومون
من هذه النعمة

التي تصنع عظيمة عالم الطير
وسرعان ما تشكل وفذ
من أحكم حكماء النمل

لسؤال العصافير عن سرها
راح النمل بخطواته الونيدة
يتسلق جذع شجرة

كان الطريق طويلاً طويلاً
حتى القمة الساطعة

حيث يعيش العندليب
يشدو في عشه
سأل العندليب المفرد :
ماذا تصنعون هنا ؟

- "جئنا نسألك عن سر عظمتك"
فقال العندليب ، بصوته المفرد العذب
كم أنا ضئيل مقارنة بالكواسر
التي تحوم حول الجوار
قال النمل :

"تملك حريرتك"
- أصبتكم يا صديقاتي الصغار
ولكن ما الحرية سوى جناح
لأنستطيع التحليق به وحده
في السموات الفسيحة
فهناك جناح حافظ آخر
أتعلمون ما اسمه ؟
إنه العدالة"

أشاعت هذه الكلمة الغريبة
الاضطراب من جديد في نفوس الكائنات الضئيله
"أنت، يا أعجوبة الطبيعة،
يا مفرد الليل والفجر،
لاتملك هذه "العدالة"؟
لا .. و اسفاه
لا أحد على وجه الخليقه
يملك هذه الهبه
لا فوق الأشجار ..
ولا في أعماق البحار
ربما .. كائن واحد
يستطيع الادعاء
بأن لديه قدرًا ضئيلاً
من هذه الثمرة إلهيه
ليصبح كريم النفس
إنه "الإنسان"

== (*) صلاة الفنان .. ==

إطار صورة ملونة
يسمونه نافذة
والرسم حى يتحرك فى الفضاء
أشجار كأشباح البشر
وسنابل من الناس تموج
ونجم يلمع فى السماء ك قطرة ماء
والبحر أزرق كالصور

* * *

والشمس تلعب عند الشفق
بصندوق ألوانها فى الأفق
والفن ينبض وحده بلا فنان
والقلب يهتف من أعماقه بصلة
وصلة يسمونها دهشة

(*) هذا النص منشور في كتاب توفيق الحكيم "رحلة الربيع والخريف" ١٩٦٤، وكذلك النصوص
التي تليه حتى النص المنصور بعنوان "أين المصير"

==== تجدد الكون ... =====

السماء تتناثع في كل حين

من سأم الخلود

تلهو بفمها العريض

وتنتفث فقاعات صابون

تتألق بالألوان والأضواء

ثم تتركها تتفجر وتفرقع في الفضاء

* * *

ويعود الفم العريض

من سأم الخلود

إلى الفراغ

يعود ثم يعود ثم يعود

إلى لهو الأطفال الأبريةاء

نستورة ..

رفعت كأسى إلى فمى
وقد انطلق فى الكأس الحباب
رشفت منها رشفة
ثم وقفت فجأة
لقد ابتلعت كوكبًا
وعندما ارتدت الكأس الضباب
وغطت رأسها النّلوج
بزغ الإشراق فى قلبى
وصاح الديك بفجر جديد

شکوهی ..

إذا كنت عصفوراً

فإنى دودةً

منقارك يشدو بغناء

أصواغه من أحشائك

تبخثرين في الطين عنى

لكنى أغنى

أغنى وأنا فى فمك

وأنت لا تسمعين

لا تسمعين غير غنائك

البدر..

عين ذهبية تطل علينا
من يرقة متقوب
هكذا يقولون ولكنى أقول
هي سن ذهبية لإلهة لعوب
تضحك لنا بملء الفم
فيصفق لها النبت فى الحقول
ويزول من الصدور الغم
ولكنها تذهب
ولا يبقى منها إلا حاجب يلعب
إلى أن ينام فى الظلام

الحب ..

زهر البنفسج انتثر
وفوق جدار الأبد تدلّى وانتشر
لون وأريج وربيع
صبّ على الكون صبّاً من آنيتها
أنهار بنفسجية تتصاعد من نافذتها
تفيض على بطاح الأرض وديان القمر
كل شيء في ربيع غرق
وعندما أغلقت نافذتها
كان قلبي قد احترق

لست وحدى في الكون ...

أسمع أصواتاً ولست أرى
أسمع موسيقى الضياء ولا أرى
حنجر جوفه تشدوا ولا تدرى
بأى رحىق ريقها يجري
من الذى وضع الألحان فى فمها
وكلها تتلاقى عندى فى انسجام
إن لم تكن الخلية شعرًا فماذا تكون
إن لم نكن نحن كلمات شعر فمن نكون
من الذى بنا يترن姆
من فم واحد متعدد الأنغام

مسافر في الفضاء ..

أيتها الأذن اسمعى اسمعى هناك
ماهذا السكون الجاثم كالحيوان النائم
حيوان ميت لا تتصعد من أنفه أنفاس
إنه النعاس كل شيء في نعاس
أين ذهبت العصافير من عشنا
ولكنى واثق أن بيته هناك
أيتها الأذن اسمعى اسمعى هناك
أما من كلام أما من صخب ..
حتى الهمس ووقع اللمس قد ذهب
ما من صوت غير صوتي أنا من هنا ..
أين حديثنا وضحكنا وغناؤنا
ولكنى واثق واثق أن بيته هناك
أيتها العين انظرى انظرى هناك
ما هذا الشئ الداكن تحت رموشك ..
أهى أرض أھو ماء أھي سماء
كل شئ مطحون طحناً معجون عجناً
في تلك الكثة الغامضة السوداء
ولكنى واثق واثق أن بيته هناك
أيتها العين انظرى انظرى هناك
ما هذا الموج الأبيض تحت رموشك
أھو قطن مندوف أھي فروة خروف
ما بال كل شئ هكذا قد أريق
كانه لبن صب من غير إبريق
ولكنى واثق واثق أن بيته هناك

هوا جس ليلة بيضاء ...

تنفس صبح من أنوف خيول

تركض لاهثة في وهاد نفسي

أسمع في أعماقى الصهيل

امنعواها من اللحاق بأمسى

* * *

إنها في غيوم تمرق

تساقط من سنابكها شهب تبرق

وتغرق في عيون سود

غريبة النظرات لنساء عاريات

يسعلن ويضحكن في سوق النهود

== حلمنا وواقعنا .. ==

مخمور يطرق باب الحان

ويخرج يهذى بالألحان

يسرق حلى زوجته

ويهدىها لعشيقته

ويسرق حلى عشيقته

ويهدىها لزوجته

من تكون زوجته

من تكون عشيقته

وجهان يصطرعان فى جوف الظلام

لحنان يختلطان من دون كلام

ويرن صوت الصمت فى كأس الزمان

ويسلل وهما من دنان الحان

كِلَامُ النَّجُومِ

الكون أسود الكون أسود

والنجوم تتناجي بالبريق

ليزول خوفها وتصمد

في بحر النيه العميق

بحر المداد

تسبح فيه الطيور البيض

قبل أن تهوى في السواد

كلا منا نحن ..

الكون أبيض الكون أبيض

لآلئ في كؤوس تضئ الرؤوس

أسراب السحب وأسراب البح

وثوب عروس

والليل مصبوغ بفجر مذاب

وميت يعطس في الكفن

وصوت يقول أين المآب

وريح تتفخ في الشارع

ليسبح في بحار النهار

قبة سمائنا ..

غطاء محكم الإغلاق
أزرق زرقة الأبد
زرقة ضمير طفل في المهد
أغلق إغلاقاً على جوهره
تلمع داخلها ججمجه
تحسب أنها وحيده
تقول كلاماً وتعيش غراماً
وتنتام طويلاً بعيون غير موجوده.

محاولة قبلة ...

عملة صفراء من ذهب ذهبت
في مثل برقة العين هوت
وعلى رخام الأرض الأحمر تدرجت
بصوت حلو الرنين
وفي ثقب اختفت
قالت الخادم الوجهة بابتسامة صفراء :
لا أمل ! .. دعني أمسح الرخام
ثم جعلت نطلي بالأحمر شفتيها

أعماق نفسى ...

ما أشد بريق الإبريق الفضى

يلمع كالفجر فى يد ساق زنجى

اقترب الساقى الزنجى وعيناه فى عينى

شعاں كالسيف اخترق الصمت وقال :

إذا قدم الشراب إليك ساق أبيض

سالت الحقيقة فى جوف الكفن

وإذا قدم الشراب إليك ساق أسود

بزغت كالنجم من خلف الغمام

وأشار الأسود إلى بالإبهام :

انظر فى جوف الكأس تعرفها

ونظرت فى الأعماق أرجو باحثا

إنها عينى أنا ترنو إلى

نسمة الخلبة =

عروق ذهب في جبل
جبل يسير على قدم
قدم تطير على عجل ..
عجل يمرق في رخام
رخام جو من غيوم
غيم حقل من نجوم
نجوم جسم من عيون
عيون جسم من نجوم
نجوم جو من سكون
سكون أصداف بحار
بحار كأس من ورق
ورق يفور ويحترق
ويحترق ثم يعود ..
يعود يجرى كجواد
جواد حلبة تضيء ..
تضيء من جوف عيون
عيون وحش في فضاء
فضاء رأس ثمل
ثمل بكروم جبل
جبل عروقه ذهب
ذهب يشع في هواء ..
هواء يلد هواء
هواء يتغذى بهواء ..
هواء من نسل هواء

— مزاجنا —

دمية من خشب

ثيابها دمقس

صفائرها أشعة شمس

أهدا بها مطر

تغمض وتنفتح

فتغضب الشمس وتفرج

دمية خشبية

حياتها أبدية

لأن ما تصنع

أن تغمض وتنفتح

اللامتناهى فى المتناهى

هبطت بعينى فى أعمق فنجانى

فرأيت الكون يخلق من جديد

هذا النقيع فى القاع له غبار

يهيم طليقاً فى فضاء مديد

أدربت فيه الملعقة

وإذا بدوامة تدور ثم تدور

وتجمع الغبار

فى كتلة دائرة معلقة

وبدا فى الأفق نجم وليد

— أيتها الحياة التي فينا —

صهيل خيل

وصليل سيف

وقصف رعد في السماء

وخرير ماء

وتلاطم أمواج على صخور

وزئير أسود

وتحطم بلور على بلاط قصور

وشدو بلابل في السحر

ونعيق بوم

وبيب نمال على جنوح كروم

كل هذا لك أنت

قطعة لحم عالمة استفهام

دُخَانُ أَفْكَارٍ ..

تماسيح تسيح

بمتابع وحقائب من جلد التماسيح

. تخطر في ثيابها الزرد

وتذرف دموعاً من برد

وتنمدد تتدفق فوق عشب السحب

هلموا يا صاحب فقد حان المساء

والليلة ليلة عرسها

فلنرقص ولنشرب

فوق شفاه بركان

يدخن القنب

أَيْنَ الْمُصِيرُ ... ==

أربع أقدام

ثم اثنان ثم ثلاثة

تدب على رمال الزمن

لغز أبي الهول الخالد

تسير عطشى كالإبل

طول الطريق

* * *

وصغير الريح يأتي كالآتین

مؤذناً بالأجل

تسع أقدام كالعجل

تجرى تحمل السنين

كانهار رمال فى رياح

إلا الطريق

نهر شهد قديم ل توفيقه (١٩٦٧)

جنون الأذى لفرعانيه

"تقربيت" ... ما أجمله ! ... عيناك في صورتك العجيبة
ما يفتأمه بلا معانه ... يرقد في أحدهما كعبه ... وفي
آخر أكب ...

ما أجملها يا تقربيت ... أسلوب ذو لمسة
من سوء تسامي منه لا ينفعه ...
أسلوب اللامع كرة ساحر تثير بصري وسلام
أسلوب بدواه لنشوة ...
"

يا تقوية الجبلة ... نعمات صوت فوائمه
بربيعه لا لوانه تظهر في لفظ ورقة منه جوف
زينة حمراء ...

تقوية ... سر يصنع ملائكة بغير ابهة تقوى عذريحة
الله الله فرعونى ... وسر يخافه نظيرك الله
فرعون دعوه ابهة يعاب بالجنة ...

قبر الله يا تقوية عمل سنه نار ... بل خبر
سر عجيب للاذكي في طاس سنه نار ...

ان أغوار ... اغوار سنه زوجه = أسرته ...
انه الى جهنمه ابدا ... فوجده هر سنه قاهر ...

”تحفظ بيكما حالة سه الناس بتاریخه ...
وتحفظ بيكما لعبيه جملا في التئين ...

”انى انا امر ... الغرفة ... هجوماته مخففت بيده
نوعه شعاف قلب ...

”لديت ... اسيده الاربع بيده بيدي كوكب
اسود بيده بيده بالله ... كوكب بلا نشر له

”انت لي وهرس ... انت لكبي ... اقليبي عما
يحا - لفظها ، تأثرت به خلفنا داشرته ...
ولنشبت معه هزيمة انتقام لدائم ... مثل المجزية لمن
خلفته بتاریخة لذا نصرك ثم فعدتكم ...

نفيت ... جزيرة زنجبار لذا تم ليتني في محيطات
النفمار ... عيناً تجئ من ذلك الجزء في محيطات النفمار ...
جزيرة زنجبار لذا تم فقدانه لا يعرف مقرها فهو ...
على بازنط حربه كي أذهب له بمكانه ...
أندرية أبيه جزيرة زنجبار لذا تم ؟ إنك
ليتني في محيطات النفمار ... إنك في ميدانه ...

عیناً جتناه صافيناً ... بسج في احداه
الحب ... وفي لآخر ... الحب ...

(۱۹۰۷) باریں

TABLE

Amour
Générosité
Voyage interplanétaire
Clémence
Couleurs
Le premier homme tué
L'autre lune
Atome
Mort
Justice
Prière
Jeux
Extase
Mon oiseau
Notre lune
Sa fenêtre
Qui nous chante
Vue de là-haut
Mon passé
Vin
Paroles d'étoiles
Paroles d'hommes
Ciel
Un baiser
Ma vérité
Air... air
Poupée
La tasse
Point d'interrogation
Fumée
Vers la fin

VERS LA FIN...

Un sifflement de vent vient comme une plainte
prédisant l'approche de la fin.
Neuf pieds comme des roues
courent emportant les années,
comme des sables dans le vent.
Sauf le chemin.
Quatre pieds.
Puis deux, puis trois
battent les sables du temps
Le mystère de l'éternel sphinx.
Ils avancent assoiffés comme des chameaux.
Tout le long du chemin.

FUMEE

Crocodiles qui voyagent,
en matériel et sacs en peau de crocodile,
avancent dans leur accoutrement scintillant
et versent des larmes de crocodile
et s'étendent pour se réchauffer sur les herbes des
[nuages.

Allez les amis le soir est venu,
et ce soir c'est sa nuit de noces :
ne soyons pas de gens chiches.
Dansons et buvons,
Sur les bords du volcan
qui fume le hachich.

POINT D'INTERROGATION?

Hennissement de chevaux.

Et son d'épées.

Grondement de tonnerre dans le ciel
et ruissellement d'eau

Battement de vagues sur les rochers
et rugissement de lion.

Ecrasement de verre sur le parquet de palais.

Et chant de rossignols magiques à l'aube.

Hululement d'hiboux de proie.

Pas de fourmis sur des racines de vigne dorée.

Tout cela pour toi :

Pièce de chair : point d'interrogation ?

LA TASSE

J'ai fixé de mon œil le fond de ma tasse,
et j'ai vu un univers qui se recrée.
Ce résidus au fond a une poussière
qui se perd libre dans un vide qui s'étend.
J'y ai tourné ma cuiller ;
et voilà un tourbillon qui s'agit et tourne
et réunit la poussière,
dans un bloc circulaire.
Et à l'horizon parut un astre qui naît.

POUPEE

Poupée de bois.
Habillée en soie.
Ses tresses sont des rayons de soleil.
Ses paupières de la pluie.
Elle ferme ses yeux et les ouvre,
et le soleil se fâche et se réjouit.
Poupée de bois,
à la vie éternelle.
Car tout ce qu'elle fait,
cest de fermer ses yeux et les ouvrir.

AIR... AIR

Veines d'or d'une montagne.
Montagne qui marche sur un pied.
Pied qui vole sur des roues.
Roues qui roulent sur un marbre.
Marbre d'un temps nuageux.
Nuages d'un terrain d'étoiles.
Etoiles d'un corps d'yeux.
Yeux d'un corps d'étoiles.

Etoiles d'une atmosphère de silence.
Silence de coquillage de mers.
Mers d'une coupe en papier.
Papier qui bout et brûle.
Brûle puis revient.
Revient et court comme un cheval.
Cheval d'un champs de course éclairée.
Eclairée du fond d'yeux.

Yeux d'un monstre dans le vide.
Vidé d'une tête ivre.
Ivre de vignes de montagne.
Montagne aux veines d'or.
Or qui rayonne dans l'air.
Air qui engendre de l'air.
Air qui se nourrit d'air.
Air d'une descendance d'air.

MA VERITE

Quel bel éclat à ce broc d'argent,
qui brille comme l'aube entre les mains d'un
[sommelier noir.

Le sommelier nègre s'approche et plonge son
[regard dans le mien
comme un rayon perçant, comme une épée qui
[tranche le silence.

Si un sommelier blanc te sert à boire,
la vérité coule au sein du linceul.

Et si c'est un sommelier noir qui te sert
elle surgit comme un astre à travers les nuages.

Le nègre me pointa de son index :
regarde au fond de ton verre et tu la verras.
J'ai regardé ce fond tout plein d'espoir
Mais ce n'était que mon œil à moi qui me fixait.

UN BAISER

Une monnaie dorée s'en est allée,
tombée en un clin d'œil.
Elle roula sur le marbre rouge du parterre
avec un son doux.
Elle disparut dans un trou.
La servante arrogante dit,
d'un sourire jaune :
Assez ! laisse-moi astiquer le parquet.

CIEL

Un couvercle hermétiquement clos.
Bleu comme l'éternité.
Du bleu de la conscience d'un enfant nouveau-né.
Complètement fermé sur un diamant,
dans un crâne luisant à l'intérieur.
Qui se croit solitaire.
Il dit des mots et vit des amours
et dort longuement avec des yeux inexistantes.

PAROLES D'HOMMES

L'univers est blanc, l'univers est blanc.
Perles dans des coupes, qui illuminent les têtes.
Envolée de nuages ; envolée de cygnes et robe de
[mariée.
Et la nuit est recouverte d'aube diluée.
Et un mort éternue dans son linceul.
Et une voix se demande vers où le voyage ?
Et un vent souffle sur les voiles,
pour nager dans une mer de chimère.

PAROLES D'ETOILES

L'univers est noir, l'univers est noirs.
Les étoiles se parlent par l'éclat,
pour tromper la peur et résister,
dans la mer profonde de la perdition.
Mer d'encre ;
où nage les oiseaux blancs,
avant de sombrer dans le noir.

VIN

Un ivrogne aux portes du bistrot,
vagabonde fredonnant des airs.

Il vole les bijoux de sa femme,
pour les offrir à sa maîtresse.

Il vole les bijoux de sa maîtresse,
pour les offrir à sa femme.

Qui est sa femme ?

Qui est sa maîtresse ?

Deux visages en conflit dans les ténèbres.

Deux airs qui se confondent sans paroles.

Le timbre du silence retentit dans la coupe du

[temps,

et résonne comme une illusion dans les vers du

[bistrot.

MON PASSE

Respiration matinale de chevaux,
galopant essoufflés au fond de mon âme.
J'entends leur hennissement dans les profondeurs
[de mes jours.
Empêchez-les d'atteindre mon passé.
Ils traversent des nuages qui passent ;
et laisse choir de leurs fers des cratères de feu
[brillantes,
qui plongent dans des yeux noirs,
aux étranges regards des femmes nues,
qui toussent et rient dans le marché des seins.

VUE DE LA-HAUT

Ecoutez oreille écoutez là-bas !
Quel silence lourd et pesant comme un animal en
[sommeil !

Un animal mort sans respiration
C'est le sommeil. Un sommeil qui couvre tout.
Où sont partis nos oiseaux, loin de leurs nids ?
Mais je suis sûr, sûr que ma maison est là-bas.

Ecoutez oreille écoutez là-bas !
N'y a-t-il pas de paroles? N'y a-t-il point de bruit?
Même les murmures et le son des attouchements
[n'existent plus.
Aucune voix à part la mienne venant d'ici.
Où sont nos discussions nos rires et nos chansons?
Mais je suis sûr, sûr que ma maison est là-bas.

Regardez yeux regardez là-bas !
Quelle est cette masse sombre sous vos paupières ?
Est-ce une terre; est-ce une eau ou est-ce le ciel?
Tout est moulu; complètement pétri comme une
[pâte,
dans cet amalgame noir et mystérieux.
Mais je suis sûr, sûr que ma maison est là-bas.

Regardez yeux regardez là-bas !
Quelles sont ces vagues blanches sous vos
[paupières ?
Est-ce du coton battu; est-ce de la fourrure
[d'agneau ?
Pourquoi tout est-il ainsi versé gaspillé,
comme du lait servi sans broc ?
Mais je suis sûr, sûr que ma maison est là-bas

QUI NOUS CHANTE ?

J'entends des voix et ne vois rien.

J'entends la musique des lumières et ne vois rien.

Les gosiers d'une troupe qui chante sans savoir,
de quelle sève ils sont nourris,

ni qui a semé les airs sur leurs lèvres.

Le tout se rejoint pour moi en une parfaite

[harmonie.]

Si la création n'est pas poésie que peut-elle donc
[être ?]

Si nous ne sommes pas des mots poétiques que
[sommes-nous ?]

Qui est-ce qui nous chante ?

D'une seule bouche et notes différentes !

SA FENETRE

**Les fleurs de lilas se sont répandues
et sur le mur de l'éternité suspendues.
Couleur senteur et printemps
sont versés sur le monde de son vase d'amour.
Des fleuves de lilas émergent de sa fenêtre
couvrant les déserts de la terre et les vallées de la
[lune.**

**Tout est noyé par ce printemps ;
et quand elle a fermé sa fenêtre,
mon cœur s'était brûlé.**

NOTRE LUNE

Un œil d'or nous regarde
à travers un voile troué.
C'est ce qu'ils disent mais moi je dis
que c'est une dent d'or d'une déesse frivole,
qui nous sourit à pleine nuit.
Les semences des près lui applaudissent,
et les coeurs lourds en sont allégés.
Mais elle s'en va,
et ne reste d'elle qu'un voile qui s'agit.
Puis s'endort dans la nuit.

MON OISEAU

Si tu es un oiseau,
je suis un ver.
Ton bec fredonne des chants,
que je compose de mes entrailles.
Tu me cherches dans la boue,
mais moi je chante.
Je chante dans ta bouche
et toi tu n'entends pas.
Tu n'entends que ton chant à toi.

EXTASE

J'ai porté ma coupe à ma bouche.
Les graines se répandirent dans la coupe.
J'y ai à peine plongé les lèvres,
et me suis arrêté subitement.

J'ai avalé un astre.
Quand la brume avait couvert la coupe,
et que la neige en devint le sommet,
mon cœur s'en réjouit,
et le coq chanta annonçant une aube nouvelle.

JEUX

Le ciel baille à tout moment
de l'ennui de l'éternité.
et souffle des bulles de savons,
qui brillent de couleurs et de lumières.
Puis les laisse éclater dans le vide.

La grande bouche revient,
de l'ennui de l'éternité,
à meubler son vide.
Revient puis revient puis revient
aux jeux des enfants gâtés.

PRIERE

Cadre d'une image en couleurs
qu'on appelle fenêtre.

Le tableau vivant bouge dans l'espace ;
arbres comme des fantômes d'humains
et des épis de gens qui se meuvent
et un astre brille dans le ciel comme une goutte
[d'eau
et la mer est bleue comme sur les tableaux.

Et le Soleil joue à l'aube
avec sa boîte de couleurs à l'horizon
L'art vit tout seul sans artiste ;
et le cœur exhale de ses profondeurs une prière.
Une prière qu'on nomme « émerveillement ».

Ce mot étrange une fois encore
bouleversa les petites créatures :
« Toi, merveille de la nature,
chanteur de la nuit et de l'aurore
tu ne possède pas cette « Justice » ?
« Non, malheureusement, non !
Personne sur la terre
ne possède ce don,
personne dans les arbres
personne au fond des mers.
Peut-être... un seul être
pourrait-il prétendre
à une part minime
de ce fruit divin
pour devenir magnanime :
C'est « l'Etre humain ».

« Regardons un peu là-haut,
il y a un monde de lumière,
le monde des oiseaux
qui vit dans la liberté. »

Le mot « Liberté » jeté dans cette terre
prit un son de tonnerre.

« Pourquoi sommes-nous privés
d'un tel bienfait qui fait
la grandeur du monde volant. »
Ainsi parlèrent les êtres des ténèbres.

Une délégation fut vite formée
parmi les plus sages des fourmis
pour aller demander aux oiseaux
leur secret.

De leurs pas lents
les fourmis grimpèrent un tronc.
Le chemin était long
jusqu'à la cime luisante
où le rossignol vit
et chante
dans son nid.

« Que faites-vous là ? »
demanda l'oiseau chanteur.
« Nous sommes venus d'en bas
en quête de ta grandeur. »

De son chant doux
le rossignol dit :
« Je suis tellement petit
à côté des vautours
qui rôdent aux alentours. »

« Tu possèdes la liberté »
disent les fourmis.

« Oui, en effet, mes petites amies,
mais la liberté n'est qu'une aile
qui ne vole pas seule
dans le grand ciel.
Savez-vous comme on appelle
l'autre aile protectrice ?
La justice.

JUSTICE

Dans le monde des fourmis
du matin au soir
on buvait, on dansait,
pour célébrer une victoire.

Un orateur harangua la foule
évoquant le jour d'un miracle
où les fourmis surmontèrent un obstacle.

Elles sortirent en armée
bien rangée
de toutes les portes
pour traverser les ruisseaux
sur des bateaux
de feuilles mortes.

« Savez-vous, dit-il à ses sœurs,
ce qui fait notre grandeur,
ce qui nous sauve toujours des abîmes ?
La Discipline. »

Un philosophe ricana :
« Pour être grand, il faut être sublime
et nous sommes enfouis sous terre,
ne voyant que l'obscurité.

Et les monts demanderont
un moment pour pleurer
leur force et élévation.
Mais à son cri ils deviendront,
avec leurs vallées et sommets,
comme des bulles de savon.

Puis viendra le tour de la terre.
A ce mot « l'heure à sonné »
elle se mettra à pleurer :
« Où sont-ils mes rois, mes lois,
mes civilisations, ma gloire,
ma science, mon histoire ? »

Et l'ange cruel et sévère
avec son cri de tonnerre
engloutira la terre.
Mais... pour la consoler
Il lui soufflera
comme on souffle à l'oreille
d'une voix douce et nette :
« Tu meurs après avoir découvert
les deux grandes merveilles
dont nulle autre planète
ne soupçonne l'existence :
L'Amour et L'Espérance. »

MORT

« Si toutes les eaux des fleuves et des mers
m'étaient versées sur les épaules »,
dit l'ange de la mort,
« pas une goutte ne serait tombée
hors de mon corps. »

« La terre entière dans ma main
ressemble à une pièce de monnaie,
ou à une table riche des mets
destinés à mon dîner. »

Un soir il devra
anéantir les mers.
Il les regardera et dira :
« L'heure a sonné ».
Et les mers le supplieront :
« Attends, ange de la mort,
ne veux-tu nous donner
un moment pour pleurer
nos flots, nos écumes,
nos perles, nos trésors ? »

Mais il lancera son cri terrible
et les mers et les océans
retomberont dans le néant.
Puis il regardera et dira aux monts :
« L'heure a sonné ».

ATOME

Lorsque Dieu
voulut donner
le feu aux hommes,
il ordonna à Gabriel,
l'ange du ciel,
de descendre à l'enfer
demander une flamme
à son gardien.

« Quel poids veux-tu et pour quoi faire ? »
demanda le gardien de l'enfer.

« Le poids d'une pomme,
répondit Gabriel,
suffit à l'homme. »

Et le gardien dit :
« Sais-tu, bon ange,
que ce poids suffit
à réduire en poussière
sept cieux et sept terres ?

« Qu'elle soit donc petite comme une noix ».
Et le gardien d'une voix

lente et hésitante :
« Une flamme de mon enfer
petite comme une noix
pourrait faire
disparaître l'eau du ciel
et sécher les plantes de la terre. »

« Combien donc faut-il prendre,
O gardien du grand feu ? »
Et le gardien répondit :
« Pour servir l'homme
sans le réduire en cendre
prend à peine le poids d'un atome. »

L'AUTRE LUNE

Vers cette lune éclatante
nous partons par une fusée,
nous traversons les nuées
au-dessus des mers écumantes.

Mais on ignore
qu'une autre lune
plus belle encore
reste à découvrir.

Elle n'est pas sur nos têtes,
elle n'est pas une planète
qui nous impose un risque à courir.

Avec quelle fusée
peut-on l'atteindre ?
On ne sait jamais.
On ne pense même pas
à faire un pas
vers cette noble lune.

Elle brille comme un diamant,
elle nous appelle en murmurant,
mais nous lui tournons le dos
pour aller monter là-haut
dans ce voyage de chimère.

Et elle nous dit d'une voix amère :
« Regardez-moi, pauvres humains.
Je suis plus près, plus utile.
Construisez d'abord ce projectile,
enchâssé comme un ouvrage de fée,
qui vous emmènera vers moi,
moi qui m'appelle : La Paix. »

LE PREMIER HOMME TUE

Quand Caïn
tua Abel
la terre vierge et belle
trembla.

C'était son premier tremblement.
Le soleil également,
brillant comme un diamant,
s'éclipsa.

Et l'épine poussa
dans la rose
qui devint morose,
et l'eau de la mer
qui était douce
devint amère.

COULEURS

Pour l'homme
une cheval est un cheval,
qu'il soit rouge, blanc ou noir.

Pour l'homme
une fleur est une fleur,
qu'elle soit jaune, mauve ou noire.

Pour l'homme
un homme n'est pas « homme »
s'il n'a pas la même couleur.

CLEMENCE

Au début Dieu créa
la plume.
Il la créa de la lumière
blanche.
Il la créa d'une perle
rare comme un merle blanc.

Perle immense, et longue
comme le chemin entre terre et ciel,
large comme la voie entre l'est et l'ouest.

Il la créa et la regarda
La plume se divisa subitement en deux,
d'un regard respectueux et modeste.
et l'encre coula de son corps brisé
et coulera jusqu'au jugement dernier.

Et Dieu lui dit : « Ecris ».
La plume hésita,
ne sachant quoi écrire.
Et Dieu lui ordonna :
« Ecris mon « Savoir »,
puis écris encore
pour tous les êtres de la terre :
« Ma clémence précède ma colère ».

VOYAGE INTERPLANETAIRE

Toi qui survoles
notre terre chère,
notre mère « Terre »,

Loin de nos maisons,
de nos pigeons,
de notre horizon,

Une fois
nos toits,
nos lois,
dépassés,

Tu mourras
ou tu vivras
dans la faim
ou la fin
d'un passé.

GENEROSITE

Le soleil couchant
à l'horizon mauve
demanda au mont « Mokattam » (1) :
« Pourquoi es-tu si chauve ? »

« J'étais le mont le plus vert,
répondit-il,
et le mieux couvert
d'arbres et de fleurs,
jusqu'à la nuit où le Seigneur
permit à Moïse sa vision
sur un certain mont. »

Les autres monts de la terre
de jalousie protestèrent,
sauf un petit mont de Galilée
qui se montra si humble et docile
que toute sa parure
de fleurs et de verdure
retomba dans la vallée.
Pour le récompenser,
Dieu ordonna à tous les monts
de lui prêter de quoi se revêtir.
Alors, moi, Mokattam
je lui fis donation
de tout ce qui m'aidait
à m'orner et à me couvrir
et je devins moi-même dénudé.

(1) Montagne dans le désert près du Caire.

III

Deux canards,
femelle et mâle,
vivaient leurs jours
beaux et courts
dans une basse-cour.

Et un matin
l'homme, de sa main
insouciante et cruelle,
prit le mâle pour le tuer
devant sa femelle.

La femelle
s'agita
et d'un coup d'aile s'évada
pour aller se jeter
dans le sang répandu
de son mâle immolé.
Puis elle mourut.

II

Deux tombeaux
jumeaux et beaux
s'isolaient dans le désert
comme deux pigeons
égarés par un typhon.

Ils les abritaient,
Elle et lui,
Deux amoureux
Malheureux
dans leurs vies.

Et on y vit cette merveille :
Deux arbres verts
poussèrent de ces deux tombeaux
jumeaux et beaux,
pour s'enlacer
et s'embrasser
avec leurs feuilles
pareilles aux baisers.
On dit que jamais
depuis que l'homme sait aimer
des tels arbres ne poussèrent
dans une telle terre.

AMOUR

I

Au fond de la nuit
une voix de femme
s'éleva vers le ciel :
« Allah, Toi l'Eternel,
au nom de Ton amour pour moi
pardonne-moi. »

Je lui dis :
« Femme égarée et étourdie
par le souci et l'émoi,
prie plutôt
« au nom de mon amour pour Toi. »

« Non, non, dit-elle,
cela n'est point la merveille
la plus grande, la plus belle.
Le merveilleux, c'est que Dieu
le tout-puissant et glorieux
m'imprègne, Lui, et m'inonde
moi, la plus simple et humble du monde,
de Son pur et immense Amour. »

DU MEME AUTEUR

Ouvrages parus en français

Schéhérazade - Poème dramatique

Préface de Georges Lecomte de l'Académie Française
(Sorlot, éditeur - Paris 1936)

L'âme retrouvée (Fasquelle, éditeur. Paris 1937)

L'oiseau d'Orient (Nouvelles éditions Latines. Paris 1962)

Un Substitut de Campagne en Egypte (PLON.
Terre Humaine) Paris 1974

Théâtre Arabe (Nouvelles Editions Latines. Paris 1950)

Théâtre Multicolore (N.E.L. Paris 1958)

Théâtre de notre temps (N.E.L. Paris 1960)

*Cette édition privée et limitée
est entièrement destinée aux amis.*

© 1981, by Tewfik EL HAKIM



General Organizer of the Alexander
Diaspora (USA)

Giovanni Manzolini

Tewfik El Hakim

POEME ARABE